روايات عبير الجديدة

بيلندا غراي

لن يفرق شيء بيننا

fafoura
www.liilas.com
www.liilas.com/vb3

روايات عبير الجديدة

BIBLIOTHEEK UTRECHT

30105 010829472

fafoura

www.liilas.com/vb3

لن يفرق شيء بيننا

بيلندا غراي

عند زيارة السير الان دي كلانسي لقصر الريف، لم تتصرف جنيفر بطريقة لائقة امام الرجل الذي تعتبره فظيعاً وجذاباً بنفس الوقت.

لكن عندما قبلها رغماً عنها، صفعته على وجهه صفعة تسببت في طلب الزواج!.

توسلت جنيفر الى والدها، لكنه اجبرها على الزواج رغماً عنها.

ولكن ماذا ستتأمل من زواج بدأ مثل هذه البداية الصعبة؟.

الفصل الاول

www.liilas.com

كان قصر رين نادراً ما يستقبل ضيوفاً، والسير توماس متحمس جداً هذا الصباح لوصول لورد بيكنغهام.

«لا يبدو ابي على طبيعته اليوم» لاحظت سيسل وهي تنظر من النافذة الى والدها الذي يتجول بدون هدف في الحديقة.

«انه يريد ان يترك انطباعاً جيداً عند ميلوردي بيكنغهام» اجابتها جنيفر بحنان.

«اوه، لا افهم لماذا يهتم كثيراً لرأي هذا الغريب!» وكانت جنيفر تتأمل اختها بحسد. لأن كل ما فيها جميل. بشرتها النظرة وقامتها الرشيقة. وشعرها الاشقر وعيونها الزرقاء، انها حقاً تبدو كالهام للشعراء.

وكانت جنيفر تعلم بانها تبدو امام اختها شاحبة،

بشعرها الكستنائي وعيونها الخضراء وانفها الصغير المستقيم. وحتى الآن لم يتقدم احد للزواج منها مع انها اصبحت في السابعة عشرة، بينما رفضت سيسل والتي تكبرها بعام واحد اربعة شبان تقدموا لطلب يدها حتى الآن.

«الدوق بيكنغهام هو رجل له نفوذ وزيارته لنا تمنحنا شرف كبير. كما وان لديه واجبات في القصر وزيارته لنا دليل على اهتمامه تجاه عائلتنا».

«اتساءل اذا كان الملك حقاً مريضاً. واذا مات، فليس لابنه غير ولد واحد وبامكاننا ان نواجه مرحلة صعبة» تساءلت سيسل.

«اذا نشبت الحرب من جديد، فان والدنا سيرحل بالتأكيد».

«لماذا؟ فهو بعد ان اصيب بجروح في تويكسبوري، لم يعد قادراً على ركوب الحصان».

وكانت هذه المعركة حصلت منذ اثنتي عشرة عاماً، ولا تزال الفتاتان تذكران ان والدهما انضم الى قوات مارغريت التي حاولت استرجاع التاج لادوارد دبورك. ولكن الملكة مارغريت سجنت وقتل ولدها، بينما اعيد السير توماس رين على جمالة، بعد ان اصيبت رجله اليمنى. فاقسم يمين الولاء للملك ادوارد الرابع، الذي ترك له بالمقابل املاكه في سروبشير بعيداً عن السياسة. وهو ينتظر الآن بتوتر زيارة احد كبار المملكة في عام ١٤٨٣.

«يقال ان بيكنغهام جميل جداً» اضافت جنيفر.

«انه متزوج من اخت الملكة، وحتى لو لم يكن متزوجاً، فانا لن اهتم له. انت تعلمين بان قلبي مشغول» اجابتها سيسل.

«وطريقة سخيفة! فان والدي لن يسمح لك ابداً بالزواج من بول هافر».

«كل ذلك لأنه كان يحب والدة بول عندما كان شاباً. ولأنها رفضت عروضه، يريد الآن ان يمنع زواجي من بول».

رفضته لأن والدي لم يكن ثرياً كبيراً، والآن هو رجل غني وبالمقابل تبددت ثروات آل هافر، انه من المثير حقاً الشعور بالحب. ولكني حتى الآن لم التق بالرجل الفاتن حقاً» اجابت جنيفر بمرارة.

«ولن يعجب احد ايضاً بسحرك» اجابتها سيسل بقسوة.

«لست ادري اذا كان سيتقدم احد لطلب يدي!».

«بامكانك ان تضعي حجاباً على وجهك، انت اشبه بالراهبات».

وكانت جنيفر تملك ايماناً قوياً، وتذهب دائماً الى الكنيسة لكنها لم تفكر يوماً بقضاء حياتها، بين جدران احد الاديرة.

«افضل ان يقتنع والدي بزواجك من بول، وسأذهب معك واهتم بعائلتك».

ثم لاحظتا اقتراب فرسان، لا بد ان الدوق بينهم، احست جنيفر بان قلبها يدق بسرعة، فهذه الزيارة مع ما تحمله من شرف. الا انها تثير بعض القلق.

www.liilas.com

«السادل لماذا رغب ميلورد دي بيكنغهام بزيارتنا، المعتقدين بان هذا ليس فالاً سيئاً؟ لقد قاتل والدي الى جانب لانكاستر...» تساءلت جنيفر بقلق.

«لقد مرت اثنتا عشرة عاماً، ومنذ ذلك الوقت لم يتدخل والدنا بالسياسة».

وكانت غرفة القتاتين تطل على البهو السفلي. وشاهدتا والدهما السير توماس يستقبل رجلين يترجلان عن حواديهما. وعندما شاهد الرجلان سيسل تنزل الدرج، نظرا اليها باعجاب. وكان الاصغر بينهما رقيق الملامح والاخر شعره اسود.

«اقدم لكم احد اصدقائي الاوفياء. السير الان دي كلانسي» قال الدوق ثم التفت نحو السير توماس واضاف.

«لديك فتاتان رائعتان، سير توماس، والسيدة ستور ستجد صعوبة في الاحتفاظ باكاليل امجادها اذا جاءتا الى القصر».

«لم يسبق لبناتي ان ذهبن الى لندن من قبل» اجابه السير توماس بفخر.

«هذه خسارة كبيرة... للندن طبعاً».

لم يسبق لجنيفر ان رأت رجلاً بمثل هذه الاناقة. انه يلبس معطفاً سذهباً، وتلمع الجواهر في اصابعه وعلى صدره. اما رفيقه فلم يكن يضع سوى خاتماً واحداً.

«ستكون زيارتنا قصيرة، فانهم ينتظروننا في لندن. وجلالة الملك قلق على علاقات مع فرنسا، وصحته تثير القلق في المنطقة».

«نحن آسفون جداً لسماع مثل هذا الخبر السيء» اجابته سيسل بصوت ناعم.

«يجب ان تصطحب ابنتيك الى القصر. انهما جميلتان جداً» قال اللورد بيكنغهام مبتسماً.

طلب السير توماس منهما الجلوس الى مائدة في الحديقة، وكان يوجد عليها اصناف من الطعام الشهي.

جلست جنيفر بقرب سيسل، وهي تفكر بحزن انها متأكدة انه لم يعرها اي واحد منهما نظرة واحدة. وهذا ما يحصل دائماً عندما تكون سيسل بقربها، لأنها تبتسم دائماً وتهز رموشها كي تلفت النظر اليها.

وبعد ان ملأ السير الان كلانسي صحنه، اخذ يحدق بجنيفر التي ارتعشت رغماً عنها التفت نظراتها بنظراته، ووجدت ان نظراته خالية من اية مشاعر فاخفضت نظرها بمرارة واخذت تصغي للحديث الذي يدور بين الدوق والسير توماس.

«الجميع يرغبون في ان يستلم العرش صبي» قال الدوق ثم اضاف.

«الوود فيل يملكون القدرة ويحافظون عليه، اتعتقد انه يعجبني واجب الزواج من احدى فتيات هذه الجماعة الحديثة الناعمة؟».

«ان نسبك عريق جداً» اجابه السير توماس.

«كان جدي اصغر اولاد الملك ادوارد الثالث. ولقد مات جدي ووالدي في الدفاع عن لنكاستر».

«وانا ايضاً اصبت بجروح في هذه الحرب».

www.liilas.com

«لقد مات وجرح الكثير من الشجعان في هذه الحروب، وكل هذا اصبح من الماضي، وانا لا يهمني سوى الحفاظ على العرش، ولكني اشعر ببعض الكره لهؤلاء ال وود فيل. لقد استولوا على اكبر الوظائف في المملكة منذ زواج جلالته، وبعد موته سيتمتعون بنفوذ قوي. ونحن سنتركهم يفعلون!».

«ولكن ايها اللورد، لا يجب ان...» قال الان كلانسي بحذر، لكن الدوق يقاطعه فوراً.

«نحن هنا عند اصدقاء ولقد سمعت في بيرسان ان الملك اوصى لأخيه الدوق كلوسستر بالحكم اذا مات قبل ان يبلغ ولده سن الرشد».

«ولكن الملكة ستعترض بالتأكيد» قال السير توماس.

«والوود فيل ايضاً، انهم يتمنون حصول خلاف بين الملك واخيه كي يتمكنوا من التصرف. وقد يتمزق ولي العهد بين هذين العاملين».

«اللورد دي كلوسستر لن يدع شيئاً مثل هذا يحصل» اجاب الان دي كلانسي.

«بامكانه ان يمنع ذلك اذا اسرع، وسيكون بحاجة لأمثالك، سير توماس».

«ولكني كبرت ولم اعد قادراً على القتال...».

«انك ثري، ولك نفوذ في هذه المنطقة، واذا حاول الوو فيل الحصول على السلطة، بامكانك ان تتكلم وتطالب باحترام وصية الملك».

«سأفعل ذلك بكل سرور».

«هذه الفتيات صامتات جداً» قال بيكنغهام مبتسما.

«انا لا افهم شيئاً في السياسة» اجابت سيسل مبتسمة.

«وانت، آنسة جنيفر، ما رأيك؟» سألها الان دي كلانسي.

«ان الملك لم يمت بعد، وانتما الآن تحاولان تقسيم عرشه» اجابته جنيفر بجفاف.

«جنيفر، انهضي الآن فوراً!» امرها والدها بقسوة، ثم التفت الى الدوق وقال.

«ارجوك اعذر تفاهتها، فالشباب والجهل...».

«ان النساء عادة لسن اهلاً للسياسة» قاطعه بيكنغهام وهو يبتسم متسامحاً.

نهضت جنيفر وقد احمر وجهها وابتعدت وقلبها يدق بشدة، وادركت ان والدها غاضب جداً لأنه يطالبهما دائماً بالتصرف بأدب امام الضيوف، واتجهت نحو كنيسة القصر، وهي نادمة لأنها لم تستطع ان تضبط لسانها ولأنها اغضبت والدها وكانت دائماً تلجأ الى الكنيسة الهادئة عندما تشعر بالقلق. واتجهت نحو قبر سيدة شابة محفور على رخامه جنيفر رين ١٣٠٠- ١٣٤٦ ولم يكن احد يعرف كيف ماتت، ولا اذا كانت رينا و اذا كانت تزوجت رين، واغمضت عينيها واخذت تحدث القبر.

«انا من جديد في مشكلة، لقد قلت ما افكر به للدوق بيكنغهام، ويبدو انه لا يجب ان اكون صريحة مع احد لوردات المملكة».

«انت صغيرة كي تكوني بمثل هذه الوقاحة» اجابها

www.liilas.com

صوت من خلفها.

وكان السير الان كلانسي قد دخل دون ان تنتبه له، فانتفضت، والتفتت اليه غاضبة.

الفصل الثاني

«سير، انا لا اتكلم معك!».

www.liilas.com

«اذن مع من تتكلمين؟».

«مع احدى الاسلاف التي تحمل نفس اسمي، ولا احد يعلم عنها شيئاً غير تاريخ ولادتها وتاريخ وفاتها».

«ولكن الافضل ان تتكلمي مع الاحياء وليس مع الاموات».

«هذا افضل من ان اطرد عن السائدة».

«ان اختك اكثر تعقلاً منك، الم تتزوج حتى الآن؟».

«نحن لم نبلغ بعد العشرين سنة... ووالدنا لا يرغب في ارغامنا على الزواج ضد ارادتنا، ولكن هل الورد بيكنغهام غاضب جداً من ملاحظتي؟».

«انه واثق من ارائه ولن تهمه ملاحظة فتاة بسيطة، اما انا

فاعتبر هذا دليلاً على احساس النبيل. فقد تتحسن حقا صحة الملك. ومع ذلك فان بيكنغهام محق لأنه اذا اعتلى الامير ادوارد العرش قبل البلوغ، سيبحث رجال طامعون للامساك بالسلطة».

ولكن لماذا الوود فيل هم كريهون لهذه الدرجة؟».

«لأن الامير ادوارد بامكانه ان يختار اية اميرة اوروبية، ولكنه فضل ارملة فارش من اللوكاستر، ولديها ولدان واهل فقراء، وكل عائلات النبلاء اضطروا للقبول. ويست مينيستر ليس الا مأوى لهؤلاء الوود فيل».

«الآن، انت الذي ينقصه انضباط...».

«لا، ابداً ولكن الخبرة علمتني ان النساء ليست قادرات على تذكر كل ما يقال لهن جيداً».

«الافضل لك سيد، ان تتزوج وبامكانك ان تتكلم باطمئنان اكثر».

«لقد مر على ذلك عشر سنوات، انا اعيش، الآن ارمل».

«اوه!...».

«لا تقلقي، لقد واسيت نفسي منذ مدة طويلة، لقد تزوجها بناء على رغبة والدي وكان عمري عشرون سنة، وكان عمر ايزابيل ستة عشرة عاماً، وعشنا معاً سبعة سنوات بسعادة قبل موتها، بالسعال الخبيث».

«هذا يعني انك تقريباً في الاربعين من عمرك».

«ولكني لا ازال قادراً على ركوب الخيل وعلى الرقص...».

«اوه، لم اقصد... ولكني لا اعرف ماذا يشعر المرء عندما يكون في الاربعين».

«لقد جئت لاقول لك الى اللقاء لأننا سنتابع رحلتنا فوراً».

«بعد ان تتحققتا من ميول الملاكين؟».

«اعترف الآن، بان ليست كل النساء عديمات الذكاء».

«طبعاً، وانت تعتقد انت عقل المرأة لا يتساوى مع عقل الرجل».

«طبعاً، لأن المرأة تترك عواطفها تتغلب على عقلها، بينما الرجل لا يرتكب مثل هذا الخطأ».

«حتى عندما يقع في الحب؟».

«الحب ليس سوى جنون عابر، ولقد عرفته عدة مرات، لكني ابداً لم افقد عقلي».

«ان بقاءك ارمل طيلة عشرة اعوام لا يدهشني، فلن تقبل اية امرأة ان تتزوج برجل لن يقدم لها الحب».

«اوه، لدي كل ما هو ضروري لارضاء زوجة املاكي واسعة وانا غني اباً عن جد. ولكني احمد من طموحاتي كي يبق وضعي ثابتاً وكي لا اصبح تحت تهديد اصحاب السلطة في المملكة».

«هل هذا كل ما يمكنك ان تقدمه؟ الزواج يعني اشياء اخرى ايضاً» اجابته بسخرية.

«بامكاني ايضاً ان افتن امرأة».

وبسرعة امسكها من كتفيها، وجذبها نحوه بعنف، واطبق شفتيه على شفتيها بشكل اخنق كل اعتراضاتها.

www.liilas.com

هـذه هي المـرة الاولى التي يقبلهـا رجـل. فقـاومتـه للحظات، وبسرعة بدأت ترتعش لهذه اللذة التي لم تعرفها من قبل.

«ارأيت؟» وتـركها وهـو ينـظر اليهـا. لكنهـا دون تفكيـر ورفعت يدها وصفعته بكل ما اوتيت من قوة، فلمعت عيونه بغضب كبير، لكنه تراجع خطوة للوراء.

«اذا تجـرأت مرة ثـانية على مثـل هـذا، اقسم لـك بـان ستندم كثيراً».

«لا يجب ان تطلقي مثل هذا التحدي» اجابها بسخرية. ثم اتجه نحو باب الكنيسة، والتفت اليها واضاف.

«الى اللقاء، آنسة رين اتمنى ان اكون فتحت لك آفاقاً جديدة».

«افضـل ان اقتـلك بيـدي بـسيـف والـدي وان ادوس عليك...».

لم يسبق لها ان شعرت بمثـل هذه الاهـانة في حيـاتها. ولكنها وجدت لذة غريبة بين ذراعيه.

«جنيفـر، والدي يـريدك ان تعـودي لغرفتـك وتبقي فيها لأنـك تستحقين العقاب، ولكن السيـر الان كـلانسي دافـع عنـك، انه رائـع! لو لم اكن احب بـول لوقعت في غـرامه فوراً» قالت لها سيسل التي تبعتها الى الكنيسة.

«انه اكثر الرجال فظاعة».

«لماذا؟ انه من نبلاء انكلترا».

«تقصدين الدوق بيكنغهام».

«اوه، عفـواً يـا الهي، ان السيـر الان كـلانسي حـزين

وصامت» اجابتها سيسل وهي تضحك ثم اضافت.

«ان له املاك في الشمال، وهو ارمل ويقال بانه لا يحب النساء، بالرغم من عشيقاته الكثيرات... وهذا ما قاله عنه الدوق».

«ان مغامرات السير الان كلانسي لا تهمني ابداً».

«لقد رحلا، هيا تعالي معي».

«لا، سأبقى هنا قليلاً».

خـرجت سيسل وظلت جنيفـر وحدهـا تفكـر امـام ذلـك القبر، وهي متأكدة من شيء واحد انها لا ترغب ابداً برؤيـة الان كلانسي ابداً بعد اليوم!».

بينمـا كانت جنيفـر تتنزه في الحـديقـة، نـادتهـا احـدى الخدم وقالت لها بان والدها ينتظرها في الصالون الصيفي، فتساءلت بقلق ماذا يريد منها، ايريد ان يؤنبها على تصـرفها امس؟ فاتجهت نحو الغـرفة الصيفيـة التي كان والـدها قـد جهزها لوالدتها عندما كانت مريضة، وبعد موت زوجتـه لم يدخلها السير توماس الا نادراً، خاصة عندما يريد ان يتكلم مع ابنتيه بامر هام.

كان والدها يجلس على كرسي وبقربه سيسل.

«اذا اردت ان تـلكـمـني بـمـوضـوع الامس، فـانـا لست...».

«اجلسي يا ابنتي، واسمعي اولاً ماذا سأقول!».

فجلست ولاحـظت بان والـدها ليس غـاضباً. ويبـدو ان لديه شيء مهم.

«لقد وصلتني رسالة هذا الصبـاح، ولقد اعلمت اختـك

www.liilas.com

بمضمونها. لكنها تعنيك انت بصورة خاصة».

«اه!» ونظرت الى اختها متسائلة.

«طلب السر الان كلاسي يدك للزواج» اجابتها سيسل.

«انا مفاجئ» اكثر منك يا ابنتي. خاصة بعد تصرفك امس امامه. لكنه يرغب بالزواج بابنتي الصغرى جنيفر، وانه ليس مهتماً بثروتك!».

«ولكنني لا اريد الزواج منه! لا بد ان هناك خطأ. او انها مجرد مزحة!» اجابته جنيفر بذهول.

«لا، ليست مزحة. لقد قطع رسوله ليلته في السفر كي يحمل لك خاتم الخطوبة. وكتب السير الان بان اعماله في القصر تمنعه من حضور عقد القران، ورجاني ان اقبل بان يمثله وكيله، وسيرافقك هذا الوكيل الى بيت السير الان حيث سينضم اليك زوجك في نهاية الشهر».

«لا، انا ارفض. وانا آسفة لانني ساعارضك لي».

«يا عزيزتي، رفضك لن يفيد، وانا يحق لي ان ازوجك من الرجل الذي اختاره بنفسي».

«لا، لن يمكنك ان ترغمني على قول كلمة نعم!».

«لماذا، لماذا انت واختك تستغلان ضعفي فهي تريد الزواج من رجل لا مستقبل امامه. وانت الآن ترفضين الزواج الذي يرغب به الدوق بيكنغهام نفسه... نعم لقد كتب بنفسه بعض السطور في نهاية هذه الرسالة، وقال ان هذا الزواج سيوطد الصداقة مع عائلتنا، وهو رجل قوي».

«واذا تزوجت صديق الدوق سيدعمك دائماً».

«ان لسانك طويل، يا ابنتي! ولكن السير الان لم يرغب

الزواج منك فقط لارضاء الدوق».

«لا! ولكن من اجل...» وعضت على شفتها، انها لا تستطيع ان تروي لوالدها ما جرى بينها وبينه في الكنيسة.

«لأنني ابديت رأيي امامه بدون تفكير».

«يا ابنتي، اذا تكلمت كل النساء بدون تفكير، فانهن سيجدن ازواجاً لهن، ولن يكون هناك راهبات في الاديرة».

«ولكني لست جميلة لائير اعجابه...».

«الجمال ليس صفة دائمة، وانت فتاة ذكية وشابة. ومع ذلك لا يحب الرجال النساء اللواتي يتكلمن بصراحة».

«اذن اكتب له واعلمه برفضي».

«ولكن سيغضب الدوق بيكنغهام. هل انت مجنونة؟».

«ولكن، يبدو لي ان السير الان هو رجل مميز» قالت سيسل.

«ولديه املاك في الشمال وسيصطحبك معه الى القصر الملكي بالتأكيد».

«اذاً ليس امامك الا ان تتزوجيه انت» اجابتها جنيفر غاضبة.

«يبدو هذا حلاً مناسباً» اجاب والدهما بعد تفكير ثم اضاف.

«وهو يريد ان يتزوج ابنتي الصغيرة ومع ذلك ستعجبيه انت».

«انت تتكلم جدياً والدي!» اجابته سيسل وهي تبكي.

«يجب ان توافق واحدة منكما. واتمنى ان توافق جنيفر،

www.liilas.com

والا ستتزوج سيسل من السير الان».

«لا مستحيل، واذا اجبرتني سأنتحر» اجابته سيسل وهي تبكي بمرارة ثم اضافت.

«لن اتزوج الا من الرجل الذي احبه».

«يا الهي!» صرخ السير توماس وضرب بيده على الطاولة وقال.

«يجب ان تتزوجه احداكما، فكرا بالامر مغا» ثم خرج من الغرفة غاضباً.

الفصل الثالث

www.liilas.com

«افضل الموت، اذا لم اتزوج من الرجل الذي احبه».

«لا تملك الفتاة في ايامنا حق اختيار زوجها».

«ولكنك انت لست عاشقة، ولا يهم من سيكون زوجك، واذا رفضت، سيرغمني والدي على القبول، ونحن لا يمكننا ان نبقى عازبتين طول حياتنا، وبالمقابل اذا قبلت انت سيرضى والدي ويقبل زواجي من بول».

«يجب ان افكر قليلاً، سأطلب نصحية الكاهن اولاً».

وهكذا اتجهت جنيفر نحو الكنيسة، وفي الطريق التقت برجل لا تعرفه، انحنى الرجل باحترام امامها.

«هل انت رسول السير الان كلانسي؟».

«نعم، آنسة انا رالف هالبواي، وانا في خدمة السير الان منذ ستة اعوام، وارافقه كثيراً عندما يذهب الى

«وهل هو سيد جيد؟».

«نعم آنسة انه افضل الرجال».

«اذن انت تعرف بانه طلب يدي للزواج».

«هو الدوق بيكنغهام تكلما عن ذلك في طريقهما الى لندن وطلب الدوق بيكنغهام اذناً واعلاناً خاصاً لهذا الزواج. ثم تلقيت الامر بالعودة الى هنا».

ارادت ان تطرح عليه المزيد من الاسئلة، ولكن هذا لا يبدو لائقاً امام احد الخدم. فتابعت طريقها نحو الكنيسة. انها لن تسامح السير الان ابداً لأنه اهانها بهذا الشكل. ومع ذلك لن تنسى الرعشة التي اعترتها عندما قبلها وضمها بين ذراعيه.

وها هو الا يريد ان يجعلها زوجته! وتذكرت نظرة التصر في عينيه وتحذيره لها ان تسحب قبل رحيلها. وكثيرات غيرها يأملن بمثل هذا الزواج واذا رفضت هي ستكون اختها المسكينة مضطرة للسفر الى بوكشير. فشعرت جنيفر بالحزن لأجل اختها بالرغم من كرهها للسير الان. والزواج منه سيكون اهون من البقاء في المنزل ومواجهة غضب والدها الدائم.

«لقد قررت قبول الزواج من السير الان» عندئذ تحول يأس سيسل الى فرحة كبيرة.

«جنيفر، انك افضل انسانة في الوجود!» وتعلقت بعنق اختها تقبلها واضافت.

«سأكون ممتنة لك الى الابد وكذلك بول، عندما

سأخبره بانك قبلت هذه التضحية من اجلنا».

«لقد منعك والدي من لقائه».

«هناك عدة وسائل، وقد تتلقين في ومنشستر بشباب يعلمك هذه الوسائل» اجابتها سيسل مبتسمة.

«انسيت بانني سأكون متزوجة».

«اوه، سيكون حب بلا امل. ولكن بعض الشبان يحبون الفتاة تحت النوافذ، ولا ينتظرون سوى ابتسامة او اشارة».

«لست انا من هذا النوع الذي يحب الابتسام، خاصة عندما اصبح زوجة رجل محترم».

ثم ذهبت لمقابلة والدها وكان في الاسفل يعاين حصاناً اشتراه مؤخراً.

«قررت ان اقوم بواجبي، وسأتزوج السير الان كلانسي. فبيت المسكينة سيتحطم قلبها اذا رحلت الى بوركشير بدلاً مني».

«انها غبية تريد الزواج من رجل لا يملك طموحاً وهو سيبدد الثروة الصغيرة التي تركتها والدتها. وهي ستتعقل وستشكرني يوماً لأنني منعت زواجها من بول. وانت ايضاً ستشكريني على كل ما سيوفره لك هذا الزواج. لقد جاء آل كلانسي الى انكلترا مع غليوم الفاتح. وانا اجد السير الان رجلاً مناسباً جداً».

«الن يحضر زوجي عقد القران؟».

«لديه واجبات في البلاط، وصحة الملك متدهورة... لذلك سيبقى بقرب الدوق بيكنغهام».

«وسيدعم صفوف الذين سيواجهون آل وود فيل».

www.liilas.com

«يا ابنتي، انت هنا تتكلمين بحرية، ولكن عندما تزورين البلاط سيكون من الافضل لك ان تحفظي لسانك».

«حسناً يا والدي».

«انت فتاة جميلة، يا ابنتي سيتم الزواج بعد غد في الكنيسة».

بعد قليل التفت سيسل تحت اشجار التفاح.

«هل اعجب والدي بقرارك؟».

«نعم» اجابتها جنيفر وهي تنظر بتهكم الى الشاب الاشقر الذي يقف قرب اختها.

«انا وسيسل ممتنان لك لهذه التضحية الكبيرة».

«اذا رآك والدي هنا، سيكون غضبه كبيراً» اجابته بحزم.

«اوه، انا افضل ان ازور سيسل هنا، لكن والدك منعني من ذلك، ولهذا السبب اراها في السر. وانا لن اتزوج من امرأة غيرها» ونظر الى سيسل بحنان.

شعرت جنيفر بانقباض قلبها. فهل ستجد رجلاً ينظر اليها بمثل هذه النظرات.

«لا تتأخري سيسل، لقد حان موعد الغداء، وانت تعلمين بان والدي لا يحب الانتظار» قالت لها جنيفر مبتسمة.

«دقائق قليلة فقط» اجابتها متوسلة.

صعدت جنيفر الى غرفتها وتمنت لو كانت رجلاً. لأن الشباب بامكانهم دائماً اختيار الزوجة، التي يريدونها. ولما

اضطرت للزواج من السير الان الذي قبلها رغماً عنها في الكنيسة.

غداً ستنقل كل ملابسها على ظهور الخيل. وستضع كل كتبها وتطريزاتها معها الى يوركشير، وتمنت لو انها تستطيع ان تصطحب معها المربية موللي، لكن رال هونيواي اعلمها بان منزل السير الان ملي، بالخدم وبالنساء اللواتي سيكن تحت خدمتها.

وكانت الفتيات كالعادة يحضرن ثوب الزفاف، قبل موعده وجنيفر كانت قد اختارت ثوبها من الساتان الابيض، ولم تكن تتخيل ان ترتديه يوماً ما..

«سأقطف لك باقة من البنفسج» قالت لها سيسل باشراق ثم قالت.

«لقد وصل الكاهن والجميع بانتظارك. ويصر والدي على ان تأخذي خاتم والدتك التي طلبت منه اهداءه للتي تتزوج اولاً».

تأملت جنيفر وجهها في المرآة بحزن. وهي تفكر بهذا الزواج السريع.

«هل انت جاهزة يا ابنتي؟ الجميع ينتظرون في الكنيسة» تناولت جنيفر باقة الزهور، وشعرت كأن هذا الاحتفال البسيط لا يعنيها، ثم قبلتها سيسل مشجعة.

«لن تندمي ابداً على طاعتك لي، يا ابنتي ولقد زدت هديتي لك مائتي ليرة ذهبية ايضاً. وسيرافقك مع السيد رالف ستة رجال لحمايتك من اللصوص اثناء الطريق».

فمدت يدها نحو الدها، وهي تقول لنفسها بانها اذا

www.liilas.com

وقفت بين ايدي اللصوص فستكون فرصة لها كي لا ترى السير الان مرة ثانية.

كانت الايام الاربعة التي قضتها على الطريق متعبة جداً. لكن لم يصادفهم اي مشاكل. وكانت جنيفر تتأمل المقاطعات الوعرة والمناظر الريفية بهدوء. وتسير خلفها البغال المحملة بامتعة جنيفر. والتقوا في الطريق بعدد من رجال الدين وببعض الفلاحين، وكانوا يقضون الليل في احدى الفنادق الموجودة في البلدات التي على طريقهم، وكان رالف هالیواي لطيفاً معها ويثرثر كثيراً.

«لقد اقتربنا من حصن كلانسي» قال لها رالف

«اهذا اسم مقاطعة السير الان؟».

«نعم، مدام، ولكن هذا لا يشبه قصر والدك كثيراً، والناس هنا يربون الغنم وقلما يزرعون القمح. وانا اخشى ان لا يكون الخدم قد تمكنوا من تحضير البيت لاستقبال سيدتهم الجديدة».

«هل انت متزوج سيد رالف؟».

«انا ارمل، ولا ارغب بالزواج بعد وفاة آن».

«ها قد وصلنا، ان المنزل خلف تلك التلال».

«فرسان!».

اوقفا الجياد عندما اقترب منهم عشرة رجال على جيادهم، ورفعوا قبعاتهم محيين.

«انه اللورد غلوستر شقيق الملك، وهو يقوم بالصيد».

«مدام؟».

«ماي لورد، هذه سيدتي جنيفر كلانسي زوجة السير

الان الجديدة».

«انت السيد هاليواي، اليس كذلك؟» سأله الدوق ثم التفت الى جنيفر واضاف.

«لم اكن اعلم ان السير الان سيتزوج مرة ثانية كنت اعتقد انه ذهب الى البلاط مع اللورد بيكنغهام».

«لقد مرا علينا في طريقهم» اجابته جنيفر باحترام.

«انه قصر الريف...».

«اوه، قرب شهرسبوري، اذن انت ابنة السير توماس رين، لقد كان مشتركاً في حرب تويكبروي».

«نعم ولقد اصيب بجروح» اجابته وهي تأمل انه لا يعلم بان والدها قاتل الى صفوف لانكستر.

«اعتقد ان زوجك سيعود قريباً، اهلاً وسهلاً بك في يوركشير، لايدي جنيفر، ونتمنى ان تزورينا مع زوجك في ميدلهان» ثم انحنى واعاد قبعته الى رأسه وابتعد.

«انه رجل عظيم، وهو يسكن في ميدلهان مع زوجته اللايدي آن وابنهما، انولد المسكين مريض جداً وكذلك صحة اللايدي آن ليست على ما يرام».

وبعد ان قطعا التلال، قال لها رالف.

«عندما وصل غوليوم الفاتح الى هذه المنطقة، نزل آل كلانسي هنا».

«ولكنني لا ارى ان هذا القصر جميلاً».

«ومع ذلك هو مريح جداً».

ولاحظت جنيفر ان هذا القصر يبدو كئيباً، وتحيط به الاعشاب اليابسة.

www.liilas.com

«اجان، اجان! لقد وصلت السيدة الجديدة!» صرخ رالف وهو يساعد جنيفر على النزول الى الارض. فاسرعت منهما سيدة ويبدو عليها الارتباك.

«سيكون كل شيء جاهزاً هذا المساء. اهلاً وسهلاً بك سيدتي. ولكن الوقت داهمنا ولم نستطع ان نحضر غير اللحم المملح لاستقبالك. كما واننا لم نتمكن من تهوئة الفراش. تفضلي معي الى غرفتك سيدتي».

«افضل ان استحم اولاً....».

ستحضر لك ماري الماء الساخن. بالمناسبة انا اجان مربية السير الان».

الفصل الرابع

www.liilas.com

صعدت جنيفر الى غرفتها ووجدت ان البيت في فوضى كبيرة. قد يكون هذا هو السبب الذي يجعل السير الان قلما يتردد على منزله.

«لقد وضعت لك اكياس الماء الساخن في السرير منذ الصباح، كي لا تشعرين بالبرد. فالسير الان ليس لديه اية فكرة عما تحتاجه السيدة! يجب ان تسامحيه، لقد مضى عشر سنوات على وفاة اللايدي ايزابيل».

«اتعرفين زوجة الان الاولى؟».

«نعم، كانت جميلة جداً وكان سيدي يحبها كثيراً، وعندما توفيت اصبح كالمجنون، ولم نتصور بانه سيتزوج مرة ثانية. ولكني ارى الآن انه اختار فتاة جميلة ايضا وبصحة ممتازة هذه المرة».

«اين اضع الماء الساخن؟» سألتها ببرودة.

«استحضره ماري، وسينقل احد الخدم حقائبك فوراً الى غرفتكن. اين تريدين ان تتناولي عشاءك سيدتي؟».

«اريد ان اتناوله مع الجميع، في الاسفل» اجابتها جنيفر بحزم.

بعد ان استحمت وبدلت ثيابها نزلت الى البهو، وجلست تتأمل المكان، والخدم يقفون وينظرون اليها بدهشة.

«اتريدين ان تتلي الصلاة بنفسك، سيدتي؟».

«نعم» ونهضت وضمت يديها واخفضت رأسها فلمحت خاتمها يلمع في يدها. حتى الآن لم يكتمل زواجها، ومع ذلك بدأت حياتها الجديدة تحت هذا السقف العتيق.

وبعد تناول العشاء، نهضت جنيفر وقالت بلهجة حازمة.

«انا متعبة جداً من طول السفر، وغداً صباحاً سأقوم بجولة على كامل المنزل، شكراً اجان، لست بحاجة لك الآن، تصبحون جميعاً على خير».

وعندما وصلت الى اعلى السلم سمعت اجان تتكلم بصوت لم تحاول ان تجعله منخفضاً.

«يبدو انها بصحة جيدة، ولكنها ليست جميلة جداً! ولا افهم لماذا رغب سيدي بالزواج منها، بالرغم من انها لن تمنحه زيادة كبيرة في ثروته...».

فقالت جنيفر لنفسها، لقد تزوجني تلبية لرغبة البدوق، ولأنه يريد ان يلقن الفتاة التي صفعته على وجهه درساً.

برغم نار المدفأة شعرت بان غرفتها باردة، وهي التي

اعتادت دائماً على النوم مع سيسل في غرفة واحدة، فبدلت ملابسها ووقفت امام النافذة للحظات ثم رمت نفسها على السرير بتوتر شديد.

وفي الصباح تناولت فطورها في غرفتها، وشعرت بتحسن مزاجها، ونزلت الى البهو بهدوء، فوجدت الرماد لا يزال في لمدفأة وبقايا العشاء لا يزال على الطاولة.

«صباح الخير، سيدتي» قالت لها اجان وهي تمسح يديها بمريولها.

«اريد ان ازور القصر. وسأبدأ بالمطبخ».

«ولكننا لم نكن نتوقع...».

«حسناً، في هذه الحالة لن انومك، ولكني اريد ارى كل شيء».

وارادت ان تثبت وجودها كربة لهذا القصر، وتكسب احترام الخدم. وتبعت اجان برأس مرفوع، وامام الفوضى التي وجدتها ادركت ان الخدم يستغلون غياب سيدهم ويتمتعون بحرية كبيرة. وكانت كل اواني المطبخ والرفوف متسخة ومليئة بالغبار. وكانت الفئران تسرح بحرية كبيرة.

«يجب ان يصبح كل شيء نظيفاً ومرتباً» قالت بلهجة آمرة.

«يجب ان يذهب رالف الى اقرب مدينة ويشتري بعض الحاجيات الضرورية».

«ولكن رالف هو وكيل الاعمال، ولا اعتقد انه سيذ...».

«سيفعل ما آمره به! ساعد له لائحة المشتريات، واريد

www.liilas.com

ان تغسل الجدران من الاعلى الى الاسفل وان تغسل الارض بالمياه الساخنة، وان تصبح كل النحاسيات والفضيات لماعة قبل عودة السير من لندن، وان يكون هناك الكثير من الخبز الابيض، وان توضع في كل الزوايا افخاخاً للفئران».

«حسناً، سيدتي».

وفجأة تغيرت لهجة المربية، وكأن نفوذ السيدة الجديدة لا يعجبها. اما رالف فلم يتحمس واعترض لأنه هو المسؤول امام سيده عن كل النفقات.

«ولكن سيدتي لا يأتي الى البيت الا نادراً، وانا ارافقه في اكثر رحلاته».

«هذا ممكن، ولكني انا ساعيش هنا، وانا لا اتحمل العيش في منزل يعج بالاوساخ وبالفوضى. فاذهب لشراء ما اطلبه منك، وعندما تعود تعالى وقدم لي الفاتورة».

مضت الايام التالية ولم تعرف جنيفر الراحة، وكانت تتجول بين الخدم تراقب عملهم، الى اصبح كل البيت مرتباً نظيفاً ولم يعد هناك اثر للفئران، كما اصبح الاسطبل مرتباً والحديقة نظيفة تماماً.

ولم يكن يبدو من قبل ان السير الان يهتم كثيراً بمنزله، ولم يكن شيء فيه يذكر بوجود سيدة له. واخبرتها ماري بلغتها الانكليزية المعثرة بأن ايزابيل زوجة الان الاولى دفنت في بلدتها الام. وبان السير الان لم يزر قبرها ابداً.

«بعد موتها اصيب بحالة من الجنون، واحرق ملابسها. وقتل جوادها، وامضى عاماً كاملاً بالشرب ليلاً ونهاراً. لم

يكن احد يتصور بانه سيتزوج مرة ثانية. لأنه آخر فرد في عائلته، والا ستصبح كل الاملاك من بعده لقريب له يعيش في ايرلندا ولم تطأ قدماه ارض يوركشير من قبل».

فقالت جنيفر لنفسها يا له من مخادع يقول بانه لا يعترف بالحب. وهو الذي كاد يفقد عقله بعد وفاة زوجته.

«ولشدة حبه لها اصيب باليأس وكسر كل النوافذ، وامضى اياماً طويلة في الصلاة كي يموت ويتوقف عن التفكير بها الذي يعذبه كثيراً».

«هذه مبالغة جداً في البكاء على شخص غال» اجابتها جنيفر بجفاف.

«يجب ان تسامحيه، انه غني جداً. ولكنه يمضي اكثر ايامه مسافراً، وعندما يعود يكون وجهه حزيناً وقلما يبتسم».

بعد ان خرجت ماري اقفلت الباب وراءها، فتنهدت جنيفر واحست بالوحدة القاتلة. قد يكون السير الان شعر بالاهانة عندما صفعته في الكنيسة، ولكن عقابه كان كبيراً بارسالها الى هذا المكان المعزول، فتلألأت عيونها بالدموع عندما تذكرت قصر والدها. ودفعت الكرسي بغضب، وفجأة لاحظت جاروراً في اعلى الطاولة لم يكن ظاهراً من قبل.

ففتحته، ووجدت فيه ثلاثة رسائل مربوطة بشريط ازرق، فشعرت بالفضول ورغماً عنها فتحت الرسائل.

«حبيبي، تعالى لرؤيتي هذا المساء في الساعة السادسة عندما يكون قد ذهب لمقابلة ماستر فارارد التوقيع!».

www.liilas.com

«يبدو انها رسالة من ايزابيل لزوجها.

«عزيزي، لقد كنت معك امس، وسأكون معك غداً ايضاً!».

«حبيبي، سيكون غداً عند الدوق كلوستر، وبامكاننا ان نلتقي اذا لم يمنعني المطر».

آه، يا الهي انها رسائل من ايزابيل لعشيق لها. ولكن كيف وصلت الى هنا؟.

فحملت جنيفر الرسائل وخبأتها في غرفتها بين طيات الملابس في احد الصناديق. واخذت تبكي بصمت. يجب ان لا يعلم احد بهذه الرسائل التي توضح خيانة ايزابيل لزوجها.

وازداد بكاءها مع انها لم تكن تعلم على من تسكب هذه الدموع.

انتهى شهر ايار وحل شهر حزيران، ولكن السير الان لم يرجع بعد. ولم تكن جنيفر متحمسة للقائه، ولكنها رغم ذلك كانت تشعر بالحرمان وبالاهانة.

على كل حال اصبح القصر جاهزاً لاستقبال صاحبه. واصبحت النوافذ مغلقة بالزجاج رغم اعتراضات رالف هالیواي، واخذت رائحة الطعام الشهي تنبعث من المطبخ اثناء مواعيد الطعام، كما وان المنزل اصبح كله نظيفاً ومرتباً.

واعتاد الخدم على طاعة جنيفر باحترام، مع انها كانت تلاحظ تساؤلهم عن السبب الذي يمنع سيدهم من الانضمام لزوجته.

وكانت جنيفر بعد ان تطمئن على عمل الخدم، تقوم بنزهة على الحصان برفقة احد الخدم. وكانت قد بدأت تحب هذه السهول وهذه التلال، وتجد فيها هدوءاً وسكينة، وكانت احياناً تحمل معها بعض الطعام وذات يوم وبينما هي تتناول آخر لقمة، لاحظت عن بعد فرسان يتقدمون نحوها، فنهضت بسرعة واخذت تزيل ما وقع على ثوبها من فتات الخبز، نزل الدوق عن الحصان، وانحنى باحترام امامها.

«لايدي كلانسي، اليس كذلك؟».

«نعم ماي لورد».

«انت بعيدة جداً عن منزلك! لا يجب ان يدعك زوجك تبتعدين هكذا مع خادم واحد».

لم يعد السير الان بعد الى قصره، سيدي».

لاحظت جنيفر ان كتفه الايمن اعلى من كتفه الايسر.

«اتعنين بانه لم يأت ولم يقدم ولاء بعد لزوجة بمثل هذا الجمال؟».

«ان زواجنا زواج مجاملات وتلاؤم، ماي لورد».

«انا آسف، ولكني تزوجت آن بعد ان وقعت في غرامها، ولقد اتفقنا على ان نسمح لابننا ان يتزوج من الفتاة التي تعجبه شخصياً».

«اتمنى ان تدوم سعادتكم الى الابد، ولكني انا لست سوى الزوجة الثانية للسير الان».

«ان الرجل قادر على الحب اكثر من مرة، وانا نفسي احببت امرأة قبل آن، وانجبت لي ولدان، ولكن حبي لها

www.liilas.com

توقف عندما رأيت آن، وقد حصل هذا ايضاً للسير الان. خاصة وانك جميلة ووجهك ينبض بالحياة».

«اشكرك كثيراً، ماي لورد» واحمر وجهها خجلا.

«يا الهي، يجب ان تسمعي هذا الاطراء من فم زوجك، سأرسل الى لندن واطلب منه ان يأتي فوراً للقائك».

«اوه، ماي لورد، لا ارجوك فقد يعتقدانني اجره على المجيء وقد لا احظى بحبه ابداً».

«كما تشائين، ولكن اذا احتجت لأي شيء، لا تترددي، اطلبيني فوراً».

الفصل الخامس

www.liilas.com

ثم ودعها وانضم الى بقية الفرسان الذين ينتظرونه على بعد خطوات قليلة.

عندما عادت الى القصر، استقبلتها اجان بحماس.

«لقد ارسل سيدنا رسالة! وهو في الطريق منذ عدة ايام، ولقد خرج رالف للقائه، وسيصل بعد ساعة تقريباً».

«ايوجد خبز طازج لدينا؟».

«نعم، خبز ولحم ودجاج».

«حسناً اعدي الشوربا والكريما بالفطر، وقولي لجون ان يحضر الخمر من القبو، ريثما ابدل ملابسي».

اسرعت جنيفر الى غرفتها، ولم تدري اذا كانت حقاً بشوق لرؤية زوجها، ولكنها متأكدة من انها لا تريد ان تبقى وحيدة، وبعد ان اغتسلت وسرحت شعرها وقبل ان ترتدي

توبها، سمعت ضجيجاً وترحيباً في الخارج.

«يا الهي لقد وصل!».

ولم تكن قد انتهت بعد من تحضير نفسها، وبسرعة سمعت خطوات على الدرج وفتح باب غرفتها فجأة. وظهر السير الان امام الباب وقد خلع معطفه وقبعته لكن الغبار تملأ ثيابه.

«يا لك من زوجة فاتنة! تنتظر ان ترضي زوجها وسيدها...».

«انني ابدل ملابسي» همست جنيفر وهي تخبىء جسدها بثوبها ثم اضافت.

«ان وصولك فاجأني و...».

«هل كان يجب علي ان ارسل رسالة اعلمك بها بانني اريد العودة الى بيتي؟» سألها بسخرية وهو يجلس.

«سيكون طعامك جاهزاً بعد قليل، وعندما ارتدي ثوبي، سأنضم اليك في الصالون و...».

«انا لست جائعاً، وانت جميلة هكذا، وتناسبين ما ارغب بالقيام به».

«يبدو انك شربت كثيراً، سيد! ولكن وجبة الطعام ستفيدك كثيراً».

«فيما بعد، اما الآن فانا ارغب بشيء آخر، وهكذا وافقت ان تكوني زوجتي...».

«لقد وافق والدي كي لا يغضب الدوق بيكنغهام، وكذلك فعلت انت عندما طلبتني للزواج».

«اوه، لا ليس كما تعتقدين».

«لا، انك تريد وريثاً، وانت في الاربعين، لقد حان الوقت لكي تنجب اطفالاً».

«اذن يجب ان نسرع قبل ان تفاجأني الشيخوخة» وخلع حذاءه ورماه في الطرف الاخر من الغرفة.

«عندما ستقوم بجولة على القصر، سيعجبك كثيراً. لقد جعلت الخدم ينظفون المطابخ و...».

«انا لم اتزوجك من اجل ذلك» واقترب منها وعيونه تشرق بوميض غريب.

«سيد، ليس مناسباً ان...».

«انت زوجتي امام الله وامام الكنيسة، فلماذا يجب ان اتخلى عن حقوقي؟» قاطعها وسحب الفستان التي تمسكه وتغطي به جسدها.

«لا!» حاولت ان تقاومه لكن شفاهه خنقت كل صراخها، فلماذا تقاومه؟ لقد قبلت الزواج منه. فاستسلمت لقبلاته وشعرت بان جسدها يرتجف من السعادة. فاغمضت عينيها، وعانقته.

«اذن، مدام لقد اصبحت فجأة صامتة» وابتعد عنها وهو يبتسم بسخرية مما جعلها تغضب.

«هل لدي خيار آخر؟ ولكن كيف تجرؤ على اجباري بهذه الطريقة؟».

«انا اقوم بواجبي كزوج، فهذا ليس جريمة» اجاب بسخرية.

«ولكن الافضل ان تعاملني كما يجب ان تعامل اية سيدة».

www.liilas.com

«سيدة؟ ولكنك فتاة لا تعرف كيف تسيطر على لسانها، ولا ان تكون مستعدة عندما يعود زوجها الى المنزل، انا اعرف فلاحات كثيرات يعرفن كيف يتصرفن مع ازواجهن!».

«ولقد جعلت منهن عشيقات لك بدون شك!».

«نعم وكلهن لطيفات».

«ولكنك تزوجتني انا كي ترضي سيدك وتحصل على وريث لك».

«وانت قبلت الزواج بي كي لا تبقي عانسة طيلة حياتك».

«والذي هو الذي اجبرني، وانا لا احبك، واذا اردت ان تعاملني كاحدى عشيقاتك فانت ستجد امامك لوحاً من الثلج».

خرج الآن غاضباً، وظلت جنيفر وحدها حزينة تبكي لأنه يعاملها بشكل بغيض.

يجب ان تكسب حبه وحنانه. واثناء تناول العشاء، التفت السير الان نحوها وقال لها:

«لقد اخبرني رالف بانك احدثت بعض التغيرات هنا».

«انا معتادة على وجود الزجاج على النوافذ وعلى النظافة».

«ان المنزل كان حقاً بحاجة لسيدة تديره» اجابت اجان بطريقة مفاجئة.

«يبدو انه اصبح لديك حلفاء يساندونك هنا!».

«هناك غير السيدة اجان، السيد كلوستر، لقد عرض

علي مساندته لي».

«متى التقيت به؟»

«مرتان، في التلال، وكان كل مرة يتوقف ويتكلم معي باحترام ومحبة، ولكن كيف حال الدوق يكتنفهام».

«لقد عاد الى قصره في بيرسون، بعد ان تحسنت صحة الملك» وفجأة سمعوا وقع حوافر جياد تقطع سكون الليل.

«سأرى بنفسي» قال السير الان مشيرا نحو رالف كي يبقى جالساً. وعندما عاد الى الغرفة.

«انها رسالة من لندن. لقد توفي الملك منذ ايام وتم دفنه فوراً».

«ماذا سيحصل الآن؟» سألته جنيفر بقلق.

«سيعتلي الامير ادوارد العرش تحت اسم الملك ادوارد الخامس».

«ولكنه في الثانية عشرة من عمره».

«نعم، ولقد اوصى الملك ان يسمي الدوق كلوستر وصياً على العرش، واتمنى ان لا تحصل مشاكل في البلاد، جنيفر تعالي الى فوق، اريد ان اكلمك».

اغلق الباب وراءها وقال لها بقلق.

«من المحتمل ان يحاول ال وود فيل التحرك. وشقيق الملك لا يحب الملكة وعائلتها، وهو يتهمهم بموت اخيه وبانهم حرضوا كلارنسي على العصيان وبانهم اقنعوا الملك باعدامه».

وتذكرت جنيفر بانها سمعت بان جورج كلارنسي شقيق الملك اتهم منذ اثنى عشرة عاماً بخيانة واعدم.

www.liilas.com

«هل ترغب في ان يكن ادوارد في ليدلو؟».

«تحت حراسة لورد ريفرز شقيق الملكة ، انه ال وود فيل الوحيد الذي يتمتع بصداقة كلوستر، وهو سيتجه فوراً الى الجنوب، ولقد كتب لي اللورد بيكنغهام كي انضم اليه على الطريق، لأن كل البلد يتحضر اليوم لكارثة» وبعد صمت قليل اضاف.

«وسأرحل فوراً الى ميد لهام، فالدوق كلوستر هو مولاي ويجب ان اتبعه».

«وانا لن اؤخرك عن واجبك، ولكن ماذا يجب علي ان افعل في غيابك برفقة كلوستر؟».

«لقد لاحظت التغيرات التي احدثتها في القصر. ولكني نادراً ما اكون هنا. بامكانك ان تديري القصر كما تشائين، ولقد لاحظت بان الجميع هنا يحترمونك».

«ان يكون لي بيت خاص هذا من اقل واجبات الزواج».

«ولكن هناك واجبات اخرى».

«انك تعاملني بطريقة فظيعة، وكذلك في لقائنا الاول، واذا استمريت بهذا الاسلوب سيكون لك زوجة تطيعك ولكن بدون اي حرارة».

«اذن سأبحث عن الدفء في مكان آخر» ثم خرج من الغرفة وترك جنيفر وحدها.

فانخذت تبكي بمرارة. كانت تعتقد ان زوجها قد سأم الوحدة، وهو يبحث عن حنان في زوجته، ولكن وصوله ورحيله المفاجيء هدم امالها، انه رجل متسلط لا قلب له.

وبعد طول انتظار، وصل احد الباعة المتجولين.

«تسري شائعات كثيرة في هذه الأيام واعتقد انه يعرف عما يتكلم» قالت لها اجان.

وكان البائع قد قال بان الدوق كلوستر والدوق بيكنغهام اعترضا الملك الصغير في الطريق بين لندن وليدلو وبانهما اوقفا عمه قبل الوصول الى العاصمة. وبان ال وود فيل هربوا واختبؤا وسيكون الملك تحت الحراسة في برج لندن ريثما يتم تتويجه وريثما ينضم اليه كلوستر.

وكان قد مضى على غياب زوجها ستة اسابيع ولم يكتب لها اية رسالة، يبدو انه لن يعود قبل شهور فاذا كان يعتقد ان بامكانه ان يتركها وحدها هنا، بينما هو يتسلى في احضان عشيقاته فهو واهم.

فاذا رحلت زوجة كلوستر الى لندن، فلن تبق جنيفر منسية في يوركشير، وحين اتخذت قرارها الحاسم، فقالت لـ اجان.

«عندما اعود. اريد ان يكون هذا القصر كما هو اليوم. وانت اجان ستحلين مكاني اثناء غيابي. واريد ان تسجلي لي كل المصاريف، لأراها عند عودتي».

«يجب ان تذهبي الى ميد لهام في نصف يوم».

وكانت جنيفر تعلم بانه لن يلومها احد لأنها ترغب بالانضمام الى زوجها.

وفي اليوم التالي سافرت جنيفر مع خادمتها جيل وقضيتا ساعات قبل وصولهن الى منطقة نايهال حيث كان يعيش السير جايمس مانكالف.

www.liilas.com

«ان ميد لهام لم تعد بعيدة من هنا، بامكانك ان تشاهدي الآن حدود تلك القرية. وهناك قصر بولتون ثلورد سكروب وهو اكبر بكثير من قصر سيدي».

قبل رحيلها كانت جنيفر متحمسة جداً للسفر مع اللايدي آن زوجة كلوبستر الى لندن. اما الآن وقد باتت قريبة منها، اخذت تتساءل اذا كان بامكانها ان تر الدوقة.

ولكن مخاوفها زالت، عندما عرفوا باسمها عند باب القصر، ورافقها احد الخدم الى غرفة يتجمع فيها عدد من النساء.

الفصل السادس

نهضت احدى النساء وفتحت ذراعيها لجنيفر.

«انت اللايدي جنيفر كلانسي؟ لقد اخبرني الدوق ان السير الان تزوج مرة ثانية، وكنت انوي ان ادعوك لزيارتي لكن الاحداث تسارعت، ومنعتني من القيام بواجباتي، اهلاً وسهلاً بك».

«مساي لايدي، اريد ان اطلب منك خدمة» قالت لها جنيفر بصوت مرتجف.

«ماذا تريدين، جنيفر؟»

«لقد لحق زوجي بصالدوق الى لندن، وارغب في الانضمام اليه...».

«وانا ايضاً ذاهبة للقاء الدوق».

«اعلم ذلك، ولهذا السبب جئت لرؤيتك».

farfoura
www.liilas.com
www.liilas.com

«اكون سعيدة جداً باصطحابك معنا، وسنصل الى لندن بعد ثمانية ايام، وستتمكن من حضور حفل كتدرائية وستمينستر. . . سنسافر صباح غد».

ثم امرت الخادمة ان ترافق جنيفر الى غرفة خاصة كي تبدل ملابسها قبل موعد العشاء.

وكانت الخادمة مرغريت تحب الثرثرة كثيراً ولقد اخبرت جنيفر بانها زارت البلاط منذ عام.

«الملك ادوارد بصحة جيدة، وقد اثنى على جمالي، ولكني اخذت حذري لأن من عادته ان يلاطف كل النساء».

«ولكنه صغير وفي سن الثانية عشرة فقط».

«يقال ايضاً بانه ذكي جداً. ولكنه كان يقيم في ليدلو، واخوه ديورك ليس مثله! لقد رايته مرة يرمي الماء على رأس الحاجب انه كوالدته وكباقي الـ وود فيل كلهم ليسوا متقفين».

«وهل من الحذر ان تتكلمي هكذا بصراحة؟».

«اوه، ان الـ وود فيل لن يستمروا طويلاً، لقد استلمت اللايدي آن من زوجها الدوق رسالة، واخبرتنا بان الدوق ذهب اولاً الى نورثبتون حيث انضم اليه الدوق بيكنغهام، وكان اللورد ريفرز قد وصل الى ستوني ستراتفورد مع الملك، فارسل الدوق كلوستر رجالاً اوقفوه واخذوا الطفل لحراسته حسب وصية والده، وهرب اكثر الـ وود فيل، واصبحت الملكة تحت حماية الكنيسة مع الاميرات والامير ديورك. ويقال بانها اخذت معها كل المجوهرات».

«والآن سيكون كل شيء بيد الدوق كلوستر».

«نعم، وسيحكم بعدل. وستقام حفلة كبيرة لتتويج الملك الصغير، ولقد اعددنا ثياباً رائعة لهذه المناسبة. والآن بدلي ملابسك، لقد اقترب موعد العشاء».

بعد الانتهاء من تناول العشاء استأذنت جنيفر مع بقية السيدات. لكنها تفاجأت عندما طلبت منها اللايدي آن ان تتبعها. دخلت الى صالون آخر.

«شكراً لاهتمامك بي، ماي لايدي» قالت لها جنيفر باحترام.

«لقد علمت بان والدك كان تويكسبوري».

«نعم، ماي لايدي كان الى جانب لانكستر».

«الا يزال في سرويشير؟ وهل هناك التقيت بالسير الان؟».

«لقد زارنا مع اللورد بيكنغهام».

«بيكنغهام؟» سألتها بدهشة ثم اضافت.

«يبدو انه قام بزيارات كثير في الفترة الاخيرة».

«كان يبدو لطيفاً».

«اوه، انه فاتن ايضاً، انت تعلمين بدون شك بانه احد اتباع زوجي؟» سألتها باحتقار.

«البست راضية عن صداقته؟».

«انه يرغب كثيراً بصداقتي، لكنه يذكرني بجورج دي كلارنسي، فهو ذكي مثله، ويجذب الكثيرين حوله بسخائه وكرمه. كما يجذب اليه النساء ايضاً. وبعد وفاة الملك هنري. قدم مساعدته وحمايته لي ولشقيقي».

www.liilas.com

«اعتقد بانه تزوج اختك».

«نعم تزوج شقيقتي ايزابيل وذلك لكي يضع يده على املاكها، ولشدة طمعه اراد ان يكسب حصتي انا ايضاً. واخبرني مرة وانا في منزله بان حياتي في خطر وبان اتباع بورك يبحثون عني. وهكذا اخذني في منتصف الليل الى حانة حيث يجب ان اعمل كخادمة بينما انا ابنة ورشيك الكبير! وهناك عثر علي الدوق كلوسستر وتزوجني. وكلارنسي اقنع الجميع بان هناك سوء تفاهم، ولكن ريتشارد كلوسستر، لم يثق به، وكان اخاه المفضل ولكنه كان مخادعاً. ولو لم يكن خائناً لما وقع في مثل هذا الفخ. واليوم عندما ارى بيكنغهام، اتذكر فوراً كلارنسي واضاليله».

«انا متأكدة ان للدوق كلوسستر اصدقاء اوفياء كثيرون».

«نعم، ولكن ال وود فيل ينتظرون الوقت المناسب للقتال، اما بيكنغهام... فانا اتساءل ماذا سيفعل؟».

«لكن والدي لم يقل اية كلمة لا تحبين سماعها».

«قد يكون خيالي هو الذي يوحي لي بالحذر من بيكنغهام. والان اخبريني كيف حالك في حياتك الجديدة».

«انها معقدة قليلاً».

«بالتأكيد، فالسير الان كان متزوجاً. ولقد استقبلنا الان وزوجته ايزابيل عندما تزوجنا انا وريتشارد في قصر كلانسي».

«وكيف كانت ايزابيل؟» سألتها جنيفر بفضول.

«كانت جميلة جداً. ولكنها كانت تعاني من سعال شديد، وكان السير الان يحبها كثيراً».

«كنت اعتقد بان زواجهما كان مفروضاً عليهما».

«نعم لكنهما عاشا بحب كبير. ولقد تعذب السير الان كثيراً بعد موتها. ولو لم تكوني امرأة رائعة لما تزوج السير مرة ثانية ويبدو انه مشتاق لك كثيراً».

«لكنه لم يطلب مني ان انضم اليه في لندن، انا اعتبر ان هذه ستكون مفاجأة له».

«يبدو ان لك شخصية مستقلة. انا احب هذا كثيراً. والآن بامكانك ان تنامي، لاننا مسافر صباحاً، وستكون رحلتنا طويلة. ولكن تذكري كلامي عن بيكنغهام، ان زوجك يعمل تحت لواءه، ولكنه رجل شريف اذا لاحظ اي شيء واخبرك به، بامكانك ان تقوليه لي بصراحة».

«نعم ماي لايدي» اجابتها جنيفر، وكان من المستحيل ان تشرح لها ان السير الان لا يتكلم معها مثل هذه المواضيع المهمة. وانها متأكدة من انه سيكون غاضب جداً عندما سيراها. وقد يأمرها بالعودة فوراً الى بوركشير.

وفي غرفة الضيوف كانت السيدات تتكلمن بحرية وبصوت مرتفع، وكلهن مع موقف الدوق كلوسستر.

«ستكون الملكة مجبرة على اعادة كل المجوهرات والذهب. لانها ليست ملكاً لها، ان الملك هو الوحيد المسؤول عن هذه المجوهرات» قالت لها احدى السيدات.

«لن يتخلى ال وود فيل عن شيء بدون قتال» اجابت اخرى.

www.liilas.com

«واللورد ريفرز مع انه من آل وود فيبل الا انه صديق لبكنغهام الذي يحمي العرش بكل قوته ونفوذه».

نامت جنيفر وهي تستمع الى كل هذه الثرثرة. واستيقظت في الفجر على جرس الكنيسة. وكانت الخادمات تتجمعن حول سيداتهن، وتساعدهن في ارتداء ملابس السفر وفي تناول قطورهن، لبست جنيفر ملابسها وتناولت قطورها وذهبت للبحث عن جيل. فوجدتها تحضر الاغراض وتضعها على ظهر البغال، فسألتها اذا نامت جيداً.

«تقريباً. لقد نمت في الاسطبل، ان القصر مزدحم جداً ويبدو لي ان قصر كلانسي مريح اكثر».

«اعتقد ان موت الملك غير اشياء كثيرة».

«الجميع هنا يحبون الدوق كلوستر وزوجته، ويقال بانها ليست بصحة جيدة ويقال ايضا انها مريضة جداً».

ثم تركتها جنيفر وانضمت لبقية السيدات في كنيسة القصر. وكانت الدوقة آن تجلس بقرب ولدها الذي يبدو مريضاً جداً. وكانت الدوقة تنظر اليه بقلق وخوف.

حاولت جنيفر ان تركز اهتمامها على الصلاة. لكن فكرها كان منصباً على هذه الرحلة وعلى ردة فعل السير الان عندما سيراها، ثم صلت للرب كي يحميهم. ونهضت وانضمت الى القافلة.

كانت جنيفر تركب حصانها وابتسمت عندما رأت مارغريت تقترب منها على جوادها.

«يبدو انك متحمسة جداً للذهاب الى لندن! انها اجمل مدن العالم، وهي اكبر من مدينة يورك!».

«انا حتى ثم اذهب من قبل الى يورك».

«اذن ستجدينها مدينة رائعة... ستقابلين زوجك، ولا بد انه سيتفاجأ كثيراً».

«اوه، سيكون مذهولاً» اجابتها جنيفر بسخرية.

«اوه، هذا اللورد ادوارد» قالت مارغريت. قرب الصبي حصانه من حصان والدته وناولها كأسها مذهباً، فأخذته الدوقة وابتسمت. انه منظر مؤثر حقاً، لأن الأم وولدها هزيلان جداً.

«لو كان اللورد كلوستر هو الابن البكر لوالده، لكان اللورد ادوارد هذا هو وريث العرش» همست مرغريت في اذن جنيفر.

هزت جنيفر رأسها، وتذكرت كلام والدها. من سوء حظ البلاد ان يحكمها طفل صغير. ولكن الطفل الملك الحالي هو تحت واصية عمه كلوستر، وبحماية الدوق يكتنغهام.

وكانت تفكر بقلق، وتتمنى ان تعود بسرعة الى الامان بين جدران قصر كلانسي.

عندما وصل الموكب الى لندن، احست جنيفر انها وسط بحر واسع من الابنية التي بينها المشاة والخيول. وكانت الشوارع تبدو وكأنها ممرات مضاءة بالمشاعل. وكانت الاسواق مكتظة والضجيج مرتفع. وفعلت جنيفر كما فعلت كل السيدات ووضعت منديلاً تحمي به فمها.

«ان قصر كروسبي يقع في بيشو بجات. وقد تجدين

وجاك هناك، قالت لها مارغريت.

وكانت ساحة القصر مزدحمة اكثر من شوارع المدينة. كان الفرسان المدججين بالاسلحة ينادون على خدمهم. والتقى الاهل والاصدقاء بسرور كبير.

الفصل السابع

واخذت الدوقة والوفد المرافق لها الى جناحات خاصة حيث ينتظرها زوجها. وشعرت جنيفر بانها تائهة. ووجدت نفسها بين اناس لا تعرفهم وارادت ان تدخل القصر لتحاول السؤال عن زوجها. وفجأة سمعت صوتاً يناديها.

«سيد هافر! ماذا تفعل هنا؟» سألت الشاب وقد اشرق وجهها.

«وانت ماذا تفعلين هنا، كنت اعتقد انك في بوركشير».

«لقد جئت مع اللايدي آن لحضور حفل التتويج».

«انا في خدمة اللورد هاسينتغ» اجابها الشاب بفخر ثم اضاف.

«لقد جئت لكي اثبت لوالدك بانني قادر على شق طريقي بنفسي، واللورد هاسينتغ وزير وبامكانه اذا كان

www.liilas.com
fardoura
liilas

راضياً عني ان يمنحني شرفا كبيرا».

«اما انا فلقد جئت للقاء زوجي. مفاجأة له، ولكني لا اعرف اين يقيم، ومعي جيل احد الخدم. لكنني لا اعرف اين ذهب؟».

وفجأة وجدت جيل يقترب منها بجانبها السير الان كلانسي بنفسه.

«الافضل ان تذهب الآن بول، يبدو ان زوجي غاضب» ورغماً عنها بدأت قدماها ترتجفان وهي تتجه نحو زوجها.

«هكذا اذن، مدام كنت كئيبة جداً في غيابي، فقررت ان تنضمي الى موكل الدوقة آن كي تأتين الى لندن!».

«لقد جئت لاحضر حفل التتويج، وقد وعدتني الدوقة بتأمين مقعد لي في الكاتدرائية» اجابته بسرعة وهي ترفع رأسها.

«انها انسانة محبة».

«كنت اتمنى لو ترسل لي رسالة تطلب مني فيها الحضور. وكنت اخاف الا تكون موجوداً هنا».

«لدي غرفة في قصر ديستمينستر جيل، اذهب انت وابحث لك عن مكان آخر. اما انت مدام. فاذهبي معه ريثما اعود اليك».

«هذه ليست طريقة مناسبة لاستقبالي» اجابته بصوت مرتجف.

«وهل ذلك الشاب الذي كنت تتكلمين معه منذ قليل لطيف اكثر مني».

«انه احد معارفنا، في سردوبشير» ولم تشأ ان تخبره عن

قصة حبه لأختها سيسل.

«سأحاول ان انضم اليك لاحقاً الى ديستمينستر، اذا سمحت لي الظروف، الى اللقاء الآن».

«لست بحاجة لك، بامكاني ان اجد لنفسي مكاناً ابيت فيه» ثم عاد ونظر اليها وامسكها بيدها، فسحبت يدها وصرخت.

«انا لا امزح عندما اقول لك باني استطيع ان اجد لنفسي مسكناً هنا».

«لا تكوني سخيفة، اذا اقمنا كل واحد في مكان منفصل ستكون هذه فضيحة كبيرة، تعالي سنذهب معاً الى ديستمينستر».

«الا يمكنك ان ترافقني بجولة في المدينة؟».

«فيما بعد، انا الآن مشغول جداً» اجابها بقسوة، فتلألأت الدموع في عينيها.

«ولكن جيل اخذ حصاني معه على ما اعتقد».

«يوجد غيره».

وبعد قليل عاد ومعه جوادان، وقال لها بجفاف.

«حاولي ان تحمي انفك وفمك من الغبار».

فاطاعته بصمت وكانت تعلم بان مزاجه لا يسمح لها بمناقشته الآن.

كان قصر ديستمينستر يبدو وكأنه قرية تحيط به الحدائق والساحات والممرات الضيقة. فتبعت السير الان الى غرفة واسعة فيها سرير كبير وطاولة. وكان جيل قد سبقها ووضع حقائبها في الغرفة.

www.liilas.com

«الافضل ان تبدلي ملابسك قبل موعد العشاء، سيحضر لك خادمي بعض المياه الساخنة، واعذريني الآن».

واراد ان يخرج، لكنها استوقفته بصوت مرتجف.

«على كل حال نحن متزوجان! ولقد افترقنا بشكل عدواني. . . .».

«هذه ليست غلطتك انت، واعتقد اننا بدأنا حياتنا بشكل سيء»، وبأنه لم يكن يجب علينا ان نتزوج».

«ولكنك تريد وريثاً، وأنا افهم حقيقة مشاعرك لان والدي كان يتمنى لو رزق بصبي».

«انت لا تزالين صغيرة على الزواج من رجل يكبرك بعشرين سنة».

ثم خرج وتركها وحدها، فتضايقت كثيراً وادركت ان زوجها رجل لا يطاق، فقررت ان ترتدي لهذا المساء الثوب الذي لبسته في حفل زواجها علها بذلك تكسب احترامه لها.

ستحتاج لاسابيع كي تجد طريقها في هذا القصر، فكرت وهي تجلس في غرفة الطعام، ان قصر والدها وقصر زوجها يبدوان صغيران جداً امام هذا القصر الكبير.

لم يكن الذوق والدوقة كلوسيستر موجودان اثناء العشاء، ولكن جنيفر لاحظت رجلاً انيقاً جداً يجلس في مكان الشرف.

«انه اللورد هاستنغ» شرح لها السير الان «انه هو صاحب اكبر منصب في الكونسيل».

«والسيدة التي على يمينه؟».

«السيدة جان شور، كانت المفضلة عند الملك المتوفي، وهي الآن تحت حماية اللورد هاستنغ».

«لكنها لم تلتزم الحداد طويلاً!».

«من طبيعة النساء عدم الوفاء» اجابها فوراً

فتذكرت جنيفر بسرعة رسائل الحب التي وجدتها في الجارور. وتساءلت هل يعلم السير الان بخيانة زوجته الاولى؟ لا، والا لما كان تصرف كالمجنون وانتظر عشرة اعوام كي يتزوج مرة ثانية. . .

وتناولت عشاءها وهي تنظر الى وجه زوجها، انفه مستقيم شفاهه رقيقة، وجبينه عال، وشعره اسود، وبشرته برونزية، وكتفاه عريضان، وجسده كله ينطق بالقوة والنشاط.

«لقد استقبلك بطريقة خشنة» قال لها دون ان ينظر اليها وارجو ان تقبلي اعتذاري، انا تفاجأت كثيراً بمجيئك، ولا يزال الوضع غير مستقر في القصر، وكنت افضل ان تبقي بأمان في يوركشير».

«ولكن لماذا؟ فالتتويج سيتم قريباً».

«لا يزال صاحب الجلالة في جناحه في البرج، والملكة والاميرات والامير يورك الصغير لا يزالون تحت حماية الكنيسة، ولا يزال هناك اختلافات في وجهات النظر، وليست لندن حتى الآن مكاناً آمناً».

«اذن من الافضل اللجوء الى كلانسي».

«حسناً يا زوجتي العزيزة، وبما انك هنا الآن، سأسعى جهدي كي اتمكن من جعل زيارتك للندن، زيارة موفقة،

www.liilas.com

هل تحبين رؤية مروضي الدببة، ام تفضلين ان تحصل لك على اذن للصيد في الغابة؟».

«افضل ان اشاهد اسود البرج».

«حسناً، اذن سنشاهد الاسود» وافق السير الان مبتسماً.

«ان زوجتك يجب ان تذهب لمشاهدة ولي العهد» قال احد الفرسان الجالسين بقربهما.

«لم يجبر احد الملكة لكي تلجأ الى الكنيسة».

«يقال انها تخشى من الوصي».

«ان الوصي محق في تخوفه من الورد فيل» قال فارس اخر.

«وبينما هي تحت حماية الكنيسة، بامكانها ان تبث اشاعة عن انها ارملة تحت رحمة الدوق والكونسيل!».

كانت جنيفر تستمع الى هذه المناقشة باهتمام لكن السير الان بدأ يبدي سأمه، فهمس في اذنها:

«اذا انهيت عشائك بامكاننا العودة الى جناحنا، فأنت بالتأكيد متعبة من طول السفر».

«انت محق، لقد كانت رحلة طويلة». ونهضا معاً، وامسك بيدها.

«لقد بدأنا علاقتنا بشكل سيء، اليس كذلك؟» قال لها مبتسماً «ويجب ان اعترف لك بانني بعد خصامنا في لقائنا الاول في الكنيسة، لم اكن اعرف اذا كنت ستقبلين الزواج مني، ولهذا السبب ارسلت رالف ليطلبك من والدك».

«حقاً كنت قد اعجبت بي؟».

«نعم، لقد مضت سنوات طويلة ولم تلفت اعجابي اية

امرأة، ولكن اسلوبك في الحديث اعجبني كثيراً، بالاضافة الى جمالك».

«انك الآن تسخر مني، فأنا لست جميلة جداً».

«ان جمالك يعجبني، وخاصة شفاهك وشعرك».

«نعم، ولكن فمي كبير».

«لذلك يجب ان تتعلمي ان تتقبلي المجاملات بابتسامة صغيرة وخجولة».

فلم تتمالك جنيفر نفسها، واخذت تضحك، فامسكها بين ذراعيه وضمها اليه بحنان، وقبلها بشوق كبير.

«لماذا تأخرت كثيراً، ولم تنضم الي في كلانسي؟».

«كنت اخاف ان تكرهني لاني ارغمتك على الزواج بهذه الطريقة، وطيلة الطريق، شربت كثيراً كي اشعر بالشجاعة للقائك».

«لم يكن هذا ضرورياً لانني غيرت رأيي، ولهذا السبب بذلك جهوداً كبيرة كي اجعل في قصرك مكاناً مريحاً، ولكي تعرف قيمة الفتاة التي تزوجتها».

«كنت اهمل بيتي لانه يذكرني بمرحلة اليمة من مراحل حياتي، وكنت اعرف بانني ارغمتك على الزواج، وانوقع منك ان تعودي الى منزل والدك».

«الا يمكننا ان نجعل هذا اليوم بداية لشهر العسل؟ وأنا لا اكن لك اية ضغينة، واتمنى ان تسامحني لانني جئت الى لندن بدون اذنك».

«اترغبين بذلك حقاً؟» سألها وهو ينظر الى عيونها مباشرة.

www.liilas.com

«ان هذا الثوب هو الذي كنت ارتديه يوم عقد الزواج...».

«اوه، احبك، ولقد احببتك منذ ان رأيتك لاول مرة» وكانت النار مشتعلة في الموقد، وتضيء الغرفة الشموع، فصرف السير الخدم واغلق الباب، ثم ضمها بحنان.

«ابداً لم اكن اعتقد بانني سأقع في الحب مرة ثانية الى ان التقيت بك في منزل والدك».

الفصل الثامن

www.liilas.com

وهذه المرة لامست شفاهه شفتيها بدون عنف بل بكل حنان، ثم حملها ووضعها على السرير، وبسرعة اجتاحته مشاعر لم تعرفها ابداً من قبل.

«لن يفرق بيننا شيء يا حبيبتي».

«ابداً، يا حبيبي» وابتسمت له وسألته «اتعتقد ان اللورد كلوستر واللايدي آن سعيدان مثلنا الآن؟».

«لا اعتقد ذلك، ولكنهما عاشقان حقاً، اتعرفين كيف التقى بها الدوق كلوستر؟».

«نعم، لقد اخبرتني اللايدي آن، احبها من النظرة الاولى، ويعتبرها اجمل امرأة في العالم».

«هذا نادر بين الازواج، ولكن بامكاننا ان نعيش بسعادة كبيرة معاً».

وضمها اليه بقوة واتحد جسداهما بعناق طويل، واخذت جنيفر ترتعش بين يديه، واخيراً نهض زوجها وقال لها وهو يلهث.

«اعذريني ولكني اشعر بقلق كبير».

«سأنادي على الخادم!» وقبلت فمه بسرعة وارتدت قميص نومها ونهضت.

لم يكن هناك اي اثر للخدم في الممر المظلم بين الجناحات، فسارت خطوات باتجاه نور القمر الذي يظهر بين الاعمدة الحجرية، فوجدت انها اصبحت في حديقة صغيرة، وفجأة سمعت خطوات، فانتفضت مرعوبة وصرخت من الخوف، لكن يدين قويتين امسكتا بها بقوة.

«اصمتي، هذا انا مدام، لا تخافي».

«بول هافر! يا الهي ماذا تفعل هنا في مثل هذا الوقت؟».

«ارجوك لا تتكلمي بصوت مرتفع! احاول ان اعود الى جناحي دون ان يراني احد في الحرس».

«ولكن من اين انت قادم؟ تمنى ان لا تكون آتياً في غرفة احدى السيدات!».

«لا تخافي، فانا مخلص جداً يحبي لسيدي، لقد عدت لتوي من الدير حيث كنت انقل رسالة خاصة».

«رسالة لمن؟ هل هذا امر سري؟».

«ارجوا ان لا تخبري احداً بانك شاهدتني ان الرسالة التي اوكلت بنقلها خطيرة جداً، ولا استطيع ان اخبرك اكثر ولكن من المفيد لاجل سلامتي ان لا يعلم احد باننا نعرف

بعضنا».

«نعم بالتأكيد، اذا اكنت ترغب بذلك».

ثم توسل اليها مرة اخرى واختفى في الظلام.

فاستعادت انفاسها ببطء، ان بول هافر كان دائماً خجولاً لكنه الآن يشترك في امور البلاط السرية! وهي تعلم بان الملكة تقيم حالياً في الدير، لا بد ان هناك مؤامرة.

فبول هافر يعمل في خدمة اللورد هاستنغ احد اصدقاء الدوق كلوسستر، فهل يسعى لخيانته مع الملكة؟.

وفي طريق عودتها الى جناحها التقت بأحد خدم زوجها.

«سيدك يشعر بالظمأ، هل تستطيع ان تحضر له ماء؟».

هز الخادم رأسه، وعادت الى غرفتها، فتفاجأت بأن زوجها يغط في نوم عميق، انها مليئة بالممرات المظلمة حيث بالامكان ان تحاك مؤامرات عديدة وخطيرة، وتمنت في اعماق نفسها ان لا يكون بول في وضع خطير، ومع ذلك لا يمكنها ان تفعل شيئاً لاجله، فتنهدت وعادت ونامت بين ذراعي زوجها.

عندما استيقظت في الصباح وجدت زوجها مرتدياً ملابسه ويتأملها بحنان ويبتسم.

«رالف يقيم حالياً في قصر كروسبي كي يخبرني في حال احتاج لي الدوق او اللورد بيكنغهام، وهذا الصباح لدي عمل مع الوصي، وبامكانك ان تزوري القصر او الدير اذا رغبت، ولست ادري متى سأعود، ولكني اعتقد انك ستعرفين كيف ترفهين عن نفسك اثناء غيابي، أليس

www.liilas.com

كذلك؟».

«نعم بالتأكيد» وشعرت بخيبة امل لانه لن يستطيع البقاء معها اكثر بسبب واجباته الكثيرة، ولا يمكن للزوجة ان تتبع زوجها اينما ذهب.

«الى اللقاء اذن... يا صغيرتي!» ثم قبلها وخرج وهو ينادي على خادمه

ظلت جنيفر دقائق وهي تتلذذ بدفء سريرها، ثم نهضت وشكرت ربها لانها قادرة على ارتداء ملابسها بدون مساعدة احد، وكان جسدها رشيقاً، ولم يعد يهمها اذا كانت جميلة جداً، طالما ان الان يحبها واقتنعت بما وهبته لها الطبيعة من جمال، ثم خرجت لتقوم بجولة في القصر.

«بدا لها القصر وكأنه بني على مراحل حسب الحاجة التي كانت تفرضها الظروف، وكانت الممرات تفصل بين الجناحات الخاصة، واكثر الممرات مظلمة ورطبة، ولم يسبق لجنيفر ان رأت مثل هذه اللامبالاة من قبل، لقد التقت باناس كثيرين، يروحون ويجيئون لكنهم يتظاهرون وكأنهم لا يلاحظونها.

وقبل ان ينتصف النهار. شعرت بالتعب في قدميها، وشعرت بأن هذا القصر هو المكان الاكثر وحشة ووحدة على الارض.

واخيراً دخلت الى غرفة مفروشة بالسجاد، ورأت فيها ثلاثة مقاعد عالية الظهر، على الاقل بامكانها ان ترتاح قبل البحث عن الطريق المؤدية الى جناحها حيث سيلتقيها الان بعد قليل.

وحاولت ان تتذكر طريق العودة عندما سمعت اصواتاً آتية من الخارج.

«من الافضل السير في الحدائق، ماي ليدي، كي لا تتفاجئ بالجواسيس».

«هذا امر سخيف! فنحن ليس لدينا اسرار» اجابته السيدة.

انه اللورد هاستنغ الذي كلمها عنه زوجها مساء امس، والى جانبه سيدة شابة ويبدو عليها الثراء. عندئذ نهضت جنيفر وانحنت قليلا، فنظر اليها بانزعاج. فسألتها السيدة.

«صباح الخير، مدام، هل انت جديدة في القصر؟».

«نعم، ماي لايدي، انا جنيفر كلانسي. زوجة السير الان كلانسي، من يوركشير».

«من هو؟» سألت السيدة اللورد هوستنغ.

«انه احد اتباع الدوق بيكنغهام» اجابها باختصار «اعرفك على اللايدي مرغاريت ستانلي، مدام».

وكانت اللايدي ستانلي المشهورة بمارغريت بوفور التي تزوجت من ادموند تيدور بسن الثانية عشرة. ولا احد يعلم بالتحديد من هم التيدور. ولكن الجميع مقتنعون بانهم اكثر طموحاً من الووديفيل. ولقد تزوج احدهم ارملة الملك هنري الخامس. وبوفور هذه تعود بسلالتها لجون دي غون، انجبت ابنها في الثالثة عشرة من عمرها. واصبحت ارملة في الرابعة عشرة. وتزوجت مرتين بعد ذلك. ويقال بانها من اذكى نساء انكلترا.

ابتسمت جنيفر وانحنت مرة ثانية.

www.liilas.com

«اتمنى ان لا تملي بسرعة في القصر. هل انت ايضاً من يوركشير. كزوجك؟».

«لا، انا من سروبشير. والذي هو السير توماس ريد، ولقد جرح في معركة تويكسبوري» اجابتها جنيفر وكانت تعلم بان زوج اللايدي ستانلي الاول كان من موالي لنكستر وبان ابنه منفيا في بريطانية لانه اشتبه به في منطقة يورك.

«لقد جرح وقتل الكثير في هذه المعركة»، اجابتها اللايدي ستانلي ثم ودعتها وتأبطت ذراع اللورد وجلسا على المقعدين الآخرين. وكانت جنيفر تعلم بانه من اللائق ان تنسحب. وتساءلت وهي تخرج عما يعنيه حديثهما. ولكنه بدا لها من الغريب وجود اسرار بين هاستنغ الذي يحمي الوصاية وبين والده الكونت ريموند. وعلى كل حال توماس ستانلي هو ايضاً من اتباع اليورك المنتصر. ويعتبر اللورد هاستنغ من اصدقاء الملك.

عندما عادت الى غرفتها، كان زوجها السير الان ينتظرها وقد بدا عليه الغضب بعد نقاش حاد بينه وبين خادمه بانجامين.

«جنيفر سنستقل مركب ونذهب لزيارة البرج».

«كي نشاهد الاسود؟».

«كل ما ترغبين به. ما رأيك بقصر ويستمينيستر؟».

«انه كبير جداً» اجابته بدهشة.

فضحك زوجها وعاد الى هدوئه. ثم امسك يدها وتوجها الى غرفة الطعام وتناولا وجبة شهية من اللحم بالخضار. وكانت جنيفر سعيدة جداً برفقة زوجها.

وكانت النزهة في المركب قد اعجبتها كثيراً. وكانت يدي دهشتها امام المناظر الجميلة على ضفتي النهر. وكان السير الان يشرح لها بسرور عن هذه الاثار التي تمتد على ضفتي التايمز.

وبعد قليل ظهر البرج امامهما. وتوقف المركب امام المدخل الرئيسي. فاجتازا حدائق مليئة بالزهور. وكان هناك العديد من النبلاء والسيدات الذين جاؤوا لرؤية الملك الصغير والاسود الحية التي قد لا يكون يوجد غيرها في انكلترا.

وفجأة علا الضجيج، واصطف الحرس على الجانبين.

«الملك».

وكان صبياً يضع على رأسه قبعة من الريش ينزل وهو ينتعل ذات اليمين وذات اليسار. وكان وجهه جميلاً. لكن احد خديه كان منتفخاً.

«يبدو ان الملك لديه خراج. فحتى الملوك يتعرضون لقسوة الظروف البشرية» همس السير الان باذنها.

«يا له من مسكين» قالت احدى السيدات الواقفة بالقرب من جنيفر «ان امه وكل عائلته تحت حماية الكنيسة. وعمه وصي على عرشه».

«والتيدور ينتظر المناسبة» اجابت سيدة اخرى.

«هل يوجد خطر على الملك؟» سألت جنيفر زوجها وهما في طريقهما نحو اقفاص الاسود.

«اشاعات فقط. فالوصي يبذل جهداً كبيراً لحماية الملك من اي خطر. ونقد فقد الوود قبل نفوذهم. ولكنهم

www.liilas.com

يهددون».

«لقد التقيت اللايدي ستانلي هذا الصباح».

«حقاً؟» سألها بدهشة «ولكن ماذا تفعل في قصر ويست مينيستر؟».

«كانت تتكلم مع اللورد هاستنغ».

«آه؟ لقد ذهب اللورد ستانلي زوجها الى كونسل ومن الطبيعي ان يحاول هاستنغ ملاطفتها. والآن فلننسى مشاكل القصر، وتعالي لنشاهد الحيوانات. انظري هذا الحيوان الغريب يسمى الجمل، وله سنامان على ظهره».

الفصل التاسع

www.liilas.com

ثم امسك يدها وتركته يقودها نحو زريبة كبيرة يسرح فيها الحيوانات بحرية. فارتعشت جنيفر وتراجعت للوراء عندما زأر احدهم. فضمها السير الان الى صدره وهو يضحك. فضحكت هي ايضاً وحاولت ان تنسى اللورد هاستنغ واللايدي ستانلي.

وعندما عادا كانت جنيفر سعيدة جداً. واتجها الى غرفة الطعام لتناول العشاء. ولم يكن اللورد هاستنغ واللايدي مارغريت موجودين. وكانت السيدة شور موجودة في القاعة.

«عندما يموت الملك. يجب البحث عن رجل آخر، لا يمكن لاحد ان يلوم السيدة شور لانها تبحث عن حماية لدى اللورد هاستنغ» قالت احدى السيدات.

«يقال بانها ترتاح اكثر لحماية اللورد دورزيت».

«دورزيت؟» سألت جنيفر بدهشة.

«انه ابن الملكة البكر» اجابها زوجها.

«احد الوودفيل؟».

«لم يمض على وجودك في القصر سوى يومان. وها انت اصبحت تعرفين كل ما يجري هنا» قال لها زوجها مازحاً «هيا اخبريني بماذا ترغبين ليوم الغد بامكاننا ان نحضر القداس في الدير، ثم نذهب لرؤية الشلالات. كما وانك بحاجة لملابس جديدة، ويوجد في القصر عدد من الخياطين وبامكانك ان تأخذي موعداً مع احدهم».

وهكذا كانا يخرجان كل يوم معاً ويزوران كل المناطق والآثار الجميلة.

ثم يعودان الى جناحهما وكأنهما عاشقان متعطشان للحب وللعناق.

وامضيا خمسة ايام لا يمكن ان تنسى ابداً.

وفي صباح احد الايام وبينما يستعدان للخروج، وصل رالف من قصر كروسبي واخبر الآن بان لورد بيكنغهام سيعقد اجتماعاً في البرج ويرغب بان ينتظره صديقه السير الان هناك.

«لقد مضى وقت طويل لم يحدث فيه شيء» قال السير الان وهو يفكر «يجب ان اذهب يا حبيبتي. هل يزعجك ان تنتظري عودتي؟».

«لا، ابداً» اجابته بصوت منخفض وهي تشعر بالخيبة.

وكانت تشعر بانه يفضل ان يبق معها. ولكن لا يمكنه

ان يتجاهل مثل هذه الاوامر.

«سأبقى واعمل على اكمال قطعة التطريز التي بدأتها منذ زمن طويل».

مرت فترة قبل الظهر بشكل بطيء. وملت جنيفر من التطريز. وظلت تتساءل ماذا يجري في ذلك الاجتماع في كونسيل وفجأة عند الظهر، فتح باب غرفتها ودخل بول هافر ووجهه شاحب، وحذاءه مليء بالغبار.

«بول! ماذا يجري؟».

«بول! ماذا يجري؟».

فنظر اليها الشاب كالمجنون.

«الان؟ هل حصل شيء له؟» سألته بقلق وخوف وقد شحب لونها.

«اللورد هاستنغ... مات بعد ان قطع رأسه» اجاب الشاب وهو يرتجف.

«يا الهي، ولكن لماذا؟ ماذا حصل؟».

«لقد اتهم بالخيانة في اجتماع الكونسيل. هو، واللورد ستانلي والاسقف مورتون اتهموا بانهم كانوا يدبرون لقتل الدوق بيكنغهام والدوق كلوستر! ولقد رمي اللورد ستانلي والاسقف مورتون في السجن. ولكن اللورد هاستنغ قطع رأسه فوراً في الساحة بدون ان يمنح اية فرصة للدفاع عن نفسه!».

«وهل كان بامكانه الدفاع؟ هل كان بريئاً؟».

«لست ادري كان قد ارسلني لنقل رسائل الى الملكة وقال بانها «مهمة». وعلى كل حال انا لم اعرف ماذا كان

www.liilas.com

مضمونها».

«نعم بالتأكيد. ولكن قد يعتبرونك متورطاً في المؤامرة. اوه، بول، كيف استطعت ان تقبل...؟».

«انا لم افعل شيئاً، نقلت رسائل فقط».

«ولكن قد تجري ابحاث و...».

«لست ادري» ونظر اليها وهو يرتجف «اوه، يجب ان ارحل من هنا، جنيفر. فقد يوقفون كل الذين كانوا يرافقون اللورد هاتنغ...».

«ولكن لماذا عدت الى ويست مينيستر؟».

«لانني... بحاجة... اوه انه شيء فظيع ما سأطلبه منك... ولكن اللورد هاستنغ... وكل اموالي في القصر.....».

«لدي بعض القطع الذهبية هنا» قالت له وقد شعرت بعدى حزنه «خذ، هذه ستكون كافية لتغطية نفقات عودتك، وستعيد لي ثمنها عندما تتمكن من ذلك... ولكن كيف حصل ذلك، لقد كان اللورد هاستنغ صديقاً للوصي».

«ولكنه لم يكن صديقاً للورد بيكنغهام. وكانا يكرهان بعضهما دائماً».

«اذن كان هاستنغ يتآمر مع الوودفيل».

«يجب ان اغادر لندن، يقال بان الوصي يريد ان يتوج نفسه».

«مستحيل، ستكون خيانة كبرى...».

«هذه ليست اشاعات، والوودفيل وراء كل ذلك».

«لا اصدق ذلك فانا اعرف الدوق جيداً، ولقد جئت من يورلشير برفقة زوجته اللايدي آن...».

«نعم، نعم» جنيفر» وشد على يديها بانفعال كبير «انت الوحيدة هنا التي اثق بها، ولقد فعلت كل ذلك من اجل سيسل، كي انجح في...».

«وذلك بنقل رسائله الى الملكة».

«سأكون ممتناً لك دائماً، جنيفر» وانحنى امامها.

«اوه، بول كيف».

ولكنها لم تستطع ان تتم هذه الجملة، لان الباب فتح فجأة ودخل زوجها السير الان. فسحبت يدها من يدي بول بسرعة، وشحب لونها ولون الشاب.

«لم اصدق بتحامين عندما اكد لي بانك التقيت برجل تلك الليلة. وعندما رأيتك بنفسي برفقته في ساحة القصر يوم وصولك، اعتبرت ان لا اهمية له...».

«ليس الامر كما...» بدأت جنيفر. لكنها سكتت بسرعة. فاذا شرحت له مخاوف بول. فقد يقبض عليه زوجها لانه صديق لبيكنغهام لكي يستجوبه وقد يكون بول مغفلاً ولكن اختها سيسل تحبه. ولا يجب ان تعرض حياته للخطر.

«ان اعذارك لن تفيدك» قاطعها السير الان بهدوء مخيف.

«الافضل لك ان ترحل بسرعة، بول...» قالت له جنيفر فانحنى الشاب بقلق وخرج.

«لا داعي لقلقك، فانا لن الطخ يدي به».

www.liilas.com

«صدقني، ليس الامر كما تعتقد...».

«اوه، لن اترك نفسي اخدع مرة اخرى».

«ايزابيل؟».

«وكيف عرفت انت؟» سألها فوراً.

«لقد عثرت في المنزل على رسائل لها».

«العشيق مجهول، اليس كذلك؟ لقد وجدتها انا ايضاً. وبعد ان قرأتها. كسرت النوافذ واحرقت كل ما كان يخصها».

«الان» ومدت يدها نحوه متوسلة.

«لا يحتمل اي رجل ان يتعرض للخيانة مرتين» اجابها بقسوة.

ولكني لم... انا لست».

«اعفيني من اعذارك».

«اوه، يجب ان تصدقني وان تثق بي».

«اوه، كنت اثق بك! ولكن خلال هذه السنوات العشر، ادركت ان النساء كلهن مثل ايزابيل. ولكني عندما التقيت بفتاة صريحة تزوجتها. ولكنها كالاخريات. انت لم تأت الي لتندن من اجلي انا، كان يجب ان اشك بذلك، كم اني غبي».

ادركت بانها لن تستطيع اظهار براءتها.

«ماذا تريد ان تفعل؟».

«لا شيء. وانت لا تعتقدين بانني سأصرخ امام الجميع واعلن عن حظي العاثر مع النساء! بكل بساطة سأقيم في غرفة اخرى في هذا القصر، وسأتركك ترفهين عن نفسك

معه. ولن يكون بيننا اي كلام آخر».

«ارجوك، صدقني، ليس الامر كما تظنه».

«اذن، فسري لي سبب وجوده هنا، واخبريني لماذا كان يمسك يديك».

«انا لم اخنك ابداً».

فهز كتفيه «وهذا ما اكره» اللورد هاستنغ، ولكنه كان يدير مؤامرة لقتل الوصي على العرش حقاً يا زوجتي العزيزة ان اعذارك لا سبيل لتصديقها!».

انتشرت الشائعات في المدينة كلها، وفي الطرقات كانت تقف مجموعات من الناس يتهامسون بآخر الاخبار اللورد هاستنغ مات، دورزيت واللورد ريفرز سيعدما بينما اخلي سبيل سنانلي برغم الشكوك حوله، واتجه قسم من الجيش الى الشمال، ترك الدوق دبورك والدته لكي ينضم الى الملك الصغير في البرج، والسيدة شور ارغمت على اعلان توبتها وندمها علناً امام العامة».

«ثبت انها كانت تحاول اغراء نصف المجلس كي تقنعهم بالانضمام الى الوودفيل!» قالت مارغريت. وكانت قد زارت جنيفر بشكل غير منتظر منذ اسبوع. وكانت جنيفر لا تخرج من غرفتها الا نادراً. وكان السير الان قد عاملها بقسوة، وتركها يائسة دون ان يسأل عنها. ولم تكن تدري كيف ستبرىء نفسها دون تعريض بول للخطر، واختها سيسل للحزن.

«كيف حال اللايدي آن؟».

«انها متوعكة. وتلازم غرفتها كل الوقت ولا يتمكن احد

www.liilas.com

من رؤيتها غير الوصي. ويقال بانه سيتوج نفسه».

«ولكن كيف سيتمكن...؟».

«يا عزيزتي. الا تعلمين ما يجري خلال النهار هذه الايام الثمانية؟ الجميع يتكلمون عن زواج الملك المتوفي السري من اللايدي تالبوت. ولقد علم اللورد بكنغهام وذهب لاخبار الوصي».

«وماذا يعني كل ذلك؟».

الفصل العاشر

«وهذا يعني بان زواج الملك من الملكة الحالية لن ينفع لانه كان قد تزوج في شبابه سراً من الليدي تالبوت، ويكون اولادها غير شرعيين، وبالتالي سيصبح اللورد كلوسيستر هو وريث العرش».

«وهل اكدت اللايدي تالبوت هذا الكلام؟».

«اوه. لقد توفيت منذ عدة سنوات ولا يوجد اي وثيقة خطية. ولكن الاسقف اكد انه هو بنفسه اشرف على زواجهما. ولم يحرز خلال حياة الملك على البوح بهذا السر. اما الان فكان من الواجب ان يعترف ويريح ضميره».

«الان طفلا سيتربع على العرش؟».

«لان الدوقيل سيحاولون دائما استعادة نفوذهم. وعندما

www.liilas.com

يتوج كلوسيستر سيرضخون لقرار المجلس».

«ومتى سيتم التتويج؟».

«لست ادري ولكن الخياط سينهي ثوبي قريباً ما هو لون ثوبك انت؟».

«اصفر» وكان ثوبها قد اصبح جاهزاً لكنها لا تشعر برغبة لارتدائه.

«يبدو لي انك لست على ما يرام، جنيفر».

«انا اشعر بالملل».

«ان زوجك رجل جذاب حقاً هل تعانين من مشاكل زوجية؟».

«لا، ولكن الان دائماً مشغول. وانت تعلمين انه من اتباع اللورد بيكينغهام».

«اذن، لماذا لا تأتين معي الى قصر كروسي؟ وانا متأكدة، ان الدوقة سترحب بك. وقد يشتاق زوجك اليك اكثر عندما تبتعدين عنه!!».

«انها دعوة مثيرة حقاً. وستكون افضل من البقاء هنا حيث يعاملها السيد الان بجفاف ولا يلتقي بها الا نادراً.

«حسناً، انه ليس بعيداً من هنا، هل ستوافقين».

«نعم، سأترك له رسالة، وسأطلب من جيل ان ينقل بعض حوائجي الى كروسي».

«شعرت جنيفر بالراحة وهي تخرج من هذا القصر برفقة مرغريت. وكانت مارغريت تهتم كثيراً بكل الشائعات، وتتمتع بروح مرحة.

«وبعد اسبوعين علمت جنيفر بالثورة التي يقدم لها

الشعب. وكان رجال الجيش ينتشرون بكثرة في الشوارع. وبعضهم يحمل لواء بيكينغهام والبعض الآخر يرفع لواء الوصي.

وعلمت بان واغان وغراي سيعلمان مع دورزيت ويغرز، وويغرز هو شقيق الملكة، دوراين وغراي هما والدها من زوجها الاول. فشعرت جنيفر بالشفقة على هذه المرأة التي تحتمي خلف جدران الدير وهي لا تعرف ماذا يخبيء لها المستقبل. ولقد كان السير توماس واغان حاجب الملك المتوفي ومخلص للوودفيل.

«لقد هرب دورزيت. ولن يجدوه بسهولة والآخرون سيقبض عليهم في يونت فراكت. واللورد بيكينغهام سيتمكن من سحق الوودفيل، ولكن من سينجح في قهره؟».

«ولكنه رجل نبيل».

«وهكذا كان الآخرون».

«لقد كتب لي زوجي، بان سنهُ سيمنعه من حضوره حفل التتويج، وانا اعتقد بانه لن يعيش طويلاً» قالت لها مارغريت.

وكانت جنيفر تفكر بصمت وتتساءل هل سيعرف السير الان الحقيقة، وهل سيصدقها ويثق بها؟ فابتسمت لمارغريت وتابعتا سيرهما نحو قصر كروسي، وبالرغم من انه اصغر من قصر ويست مينستر، الا انه مبني بطريقة اجمل بكثير.

«يوجد جناح خاص للسيدات، و بما ان زوجك في

www.liilas.com

القصر، سيكون لكما غرفة خاصة، انتظريني هنا، سأعود بعد قليل».

قالت لها مارغريت ثم تركتها في غرفة صغيرة، لاحظت جنيفر كتاباً كبيراً مفتوحاً على الطاولة قرب النافذة فاقتربت وارادت ان تتصفحه بانتظار عودة مارغريت.

«هذا الكتاب هدية من اللورد ريفرز».

انتفضت جنيفر عندما سمعت هذا الصوت من خلفها.

«لايدي كلانسي، لم يسبق لنا ان تشرفنا برؤيتك، في قصر كروسبي من قبل» قال لها الدوق كلوسستر مبتسماً.

«كنت اقيم في ويست مينستر ماي لورد».

«لقد قاطعتك عن القراءة عفواً».

«او، ماي لورد، لا بأس، ولكنك قلت بانه هدية من اللورد ريفرز؟».

«وهل هناك غرابة في ان يقدم لي احد الورد قبل هدية؟ اللورد ريفرز رجل نبيل، لقد اضاعه ولاءه لعائلته، انت لا تزالين صغيرة على فهم كل هذه الامور اتمنى ان يكون زواجك سعيداً كزواجي».

«شكراً ماي لورد».

«يوجد مكتبة غنية في هذا القصر، وهي بتصرفك ساعة تشائين».

وبنفس الوقت فتح الباب فالتفت اللورد.

«آه، بيكنغهام! كنت انتظرك، وهذا السير كلانسي ايضاً ان زوجتك هنا ايضاً...».

«هذا ما اراه» قال السير الان وهو ينحني.

«لقد سبق لي والتقيت بالـلايدي جنيفر» قال بيكنغهام وهو يبتسم «ولديها اخت جميلة جداً، بالمناسبة كيف حالها؟».

«لا اعرف، ماي لورد، فانا لا يصلني رسائل من قصر الريف».

«اذن جئت لزيارة القصر؟».

«اذا لم يكن لدى زوجي اي مانع» ونظرت نحو زوجها متوسلة، فاكتفى بانحناءة من رأسه.

«اذا كانت زوجتي العزيزة ترغب بذلك فليس لدي اي مانع».

«اذن، يجب ان نترككما وحدكما قليلاً، سأتناول العشاء مع والدتي في قصر باينارد، هل تأتي معي لورد بيكنغهام؟».

«بالتأكيد، وكيف يمكنني ان ارفض مثل هذا الشرف الكبير؟» وبهذا الوقت دخلت مارغريت وهي تقول.

«يوجد غرفة لك في الجناح الجنوبي...». ثم سكتت لشدة ذهولها.

«حسناً، انا قادمة» اجابت جنيفر وهي تتجه نحو الباب لكن اللورد بيكنغهام ضحك والتفت نحو السير الان.

«ان زوجتك تعبة على ما يبدو، رافقها اذن فانا واللورد كلوسستر لن نحتاج لخدماتك اليوم».

مد الان يده نحوها دون ان يتكلم، فامسكت يده وهي تشعر بالحرج.

«هكذا، قررت زيارة قصر الدوق!».

www.liilas.com

«لقد دعتني مارغريت، كما وانني كنت امل كثيراً في قصر ويست مينيستر».

«على كل حال، في القصر شباب لن يرفضون ابداً تقديم خدماتهم لك».

«يوماً ما، ستعتذر على هذا الكلام سير الان».

«ستكون هذه اول مرة اقدم فيها اعتذاري الى عاهرة».

الفصل الحادي عشر

عاهرة فتحت فمها تريد ان تدافع عن نفسها، لكنها عادت واكتفت بكتم غيضها، انه يتهمها بدون اي دليل، فقط لان زوجته الاولى كانت تخونه، وجيفر لا تريد ان تحرج كبريائها اكثر بالتوسل اليه.

«بامكانك ان تفكر كما تريد» اجابته اخيراً بلهجة جافة «فأنا لا انوي ان ازعجك بمحاولة تبرير نفسي».

«ولا انا ايضاً».

وعندما وصلا الى غرفتهما وبعد صمت ثقيل قال لها بان اللورد كلوستر سيحدد غداً موعد التتويج.

«اذن يمكان ان ارتدي ثوبي الجديد» قالت له بسخرية، ثم اضافت بصوت مرتجف، «اوه، الان لماذا لا يمكننا ان نكون اصدقاء، فانا اشعر بالخوف وسط كل هذه المؤامرات

www.liilas.com
farfoura
liilas

التي تحيط بالبلاط».

«انت مثل ايزابيل، بامكانك بابتسامة ان تحصلي على ما تريدين، ولكني لم اعرف اسم عشيقها، ولم اكن اشك بها ابداً، قبل ان اكتشف تلك الرسائل».

ثم خرج واغلق الباب وراءه بهدوء، فرمت جنيفر نفسها على السرير، واجهشت بالبكاء، وبعد قليل وقفت امام المرآة ورأت شحوب وجهها، لقد فقدت ايضاً، القليل من وزنها، ثم ذهبت لزيارة اللايدي آن.

«انا لم انسى ابداً انني وعدتك بان احجز لك مكاناً في الكاتدرائية اثناء التتويج».

«شكراً لك، ماي لايدي».

«عندما غادرنا ميدلهام لم اكن اعتقد بانني ذاهبة لتتويج آخر، نحن نعيش مرحلة صعبة، ولا يعلم الا الله ماذا ستكون حالنا في المستقبل».

«ولكن تم تحضير كل شيء».

«هذا ممكن... هذا زوجك، يبدو حزيناً بدونك، هيا، انضمي اليه واجعليه سعيداً قليلاً».

اتجهت جنيفر نحو زوجها تحت نظرات الدوقة آن، وقالت له بدلال.

«مساء الخير، الان، تبدو منهكاً هذا المساء».

فاجابها بانحناءة بسيطة، واراد ان يبتعد، لكنها اضافت.

«الدوقة تعتبرنا زوجين سعيدين فأنت لا تريد ان تزيد من همومها، وهي لا ترغب حقاً بهذا الوضع الجديد وتفضل ان تعود الى ميدلهام وتهتم بصحة ابنها».

«انها ستقوم بواجبها» اجابها ساخراً.

«انا لا اقبل العكس، لماذا كلما كلمتك تبحث في كلماتي عن معنى آخر».

«لن اسمح لبراءتك ان تخدعني» اجابها مبتسماً بشكل يظن الذي يراه بانه عاشق كبير.

«انك رجل لئيم ووقح» اجابته وردت، له ابتسامته الماكرة.

ثم اقتربت منهما اللايدي مارغريت، فسلم عليها الان وانحنى لتقبيل يدها، وقال لها بلطف.

«لو لم اكن متزوجاً، وكذلك انت، لوقفت اتنهد طول المساء تحت نافذتك».

«انك ملاطف مخادع، ولو كنت زوجتك لكنت اغار عليك من كل النساء».

واتجه الثلاثة نحو صالة الطعام وجنيفر تشعر بحزن كبير، انها تحبه وتشعر بالضعف امامه، واخذت تتناول عشائها بصمت محاولة ان تمنع دموعها.

وظل الان يلاطف مارغريت بشكل اثار غيرة جنيفر.

«لو كان زوجي فاتناً كزوجك جنفير، لسامحته على كبر سنه» قالت مارغريت وهي تضحك.

«اللايدي جنيفر تحب المزاح كثيراً» اجاب الان ساخراً.

تم الاعلان عن تنحي الملك الصغير في قصر بانيارد حيث كانت جنيفر مع كل السيدات، واعلن اللورد بيكنغهام ان اولاد الملك من اليتور تاليوت غير شرعيين وسيعود التاج الى اخيه ريتشارد دي كلوستر.

www.liilas.com

وكان الملك والملكة يقفان وسط حشود من المدعوين، بينما كان السير الان يقف بقرب اللورد بكنغهام ويبدو عليه القلق، واشرف الكاردينال بورشيه بنفسه على حفل التتويج وكانت الكاتدرائية كلها مضاءة بالمشاعل التي ينعكس نورها على اسلحة الفرسان وفساتين السيدات وعندما اطل الملك والملكة على الجماهير المحتشدة حول الدير، استقبلوه بالتصفيق وبالفرح.

عندما عاد الموكب الى ويست فينيستر، جلست جنيفر مع مارغريت امام احدى الطاولات، وجرى احتفال كبير، وسكب الخمر وكانت اغاني وابتهاج الشعب تصل الى المسامع من بعيد، وكان الفرقة الموسيقية تعزف الحاناً جميلة. وبدأ النبلاء يدعون السيدات الى الرقص، فتقدم السير الان من زوجته ودعاها للرقص.

«بكل سرور» ومدت له يدها.

«سيعود النظام والامام للمملكة، وبامكاننا ان نثق بريتشارد كلوستر، وسيساعده اللورد بيكنغهام الذي لولاه لما اكتشفت مؤامرة هاستنغز».

كان السير يراقصها برشاقة، وشيئاً فشيئاً انسجمت مع الموسيقى، وتشل الشائبون واخذ كل رجل يحمل رفيقته ويقبلها على شفتيها بشكل اثر كثيراً على السفراء الاجانب المدعوين لهذا الاحتفال.

«لا يجب علينا سوى ان نحاول ارضاء الجمهور، يا زوجتي العزيزة، انا متأكد انك لا تريدين ان تبحثي عن رفيق آخر».

ثم تركها وعاد الى حيث تجلس مارغريت فاقترب الشاب من جنيفر، ودعاها للرقص، ولكن الان كان قد امسك بذراع مارغريت، وشعرت جنيفر بالحرج.

«عفواً، اشعر انني متعبة جداً» اجابت جنيفر الشاب ثم هربت من بين الحشد الراقص واسرعت الى الدير في الظلام.

تفاجأت جنيفر عندما رأت الملكة آن تجلس على ركبتها في الكنيسة ووجهها شاحب، فانقبض قلب جنيفر، فالتفتت الملكة الى الخلف مرعوبة.

«هذه انا، يا صاحبة الجلالة، جنيفر كلانسي، انا آسفة، لقد قطعت عليك تأملاتك...».

«لا، لا، انا احاول فقط ان استجمع قواي».

«ولكن، لا يجب ان تكوني وحدك هكذا» قالت لها جنيفر بقلق.

«نعم، والجميع يهنئون عاش الملك عاشت الملكة، ولكني بعد اليوم لن استطيع التنزه وحدي في قصري خوفاً من محاولات القتل، هذا اليوم متعب جداً حتى ريتشارد كلوستر يشعر بالتعب، وهو يحضر للسفر الى الجنوب مع اللورد بيكنغهام، فهو الملك الآن، وسيعمل لصالح البلاد، وسيصبح ابننا امير الغال، واولاد لورد فيل، سيعاملون باحترام، وستمنح الفتيات هبات كبيرة، وستؤمن لوالدتهم ضمانات كي تعود للقصر بامان».

«اللورد بيكنغهام رائع هذا اليوم».

«نعم، انه رجل جميل، وريتشارد يحبه، وسيكافاء

www.liilas.com

وسيكافأ كل الرجال الذين ساعدوه».

«انت متهمة سيدتي».

«هل جئت الى هنا للصلاة جنيفر؟ اتمنى ان لا يهملك زوجك كثيراً من زحمة واجباته الكثيرة».

تمنت جنيفر لو انها تستطيع ان تشرح للملكة همومها ولكن لدى الملكة مشاكل تكفيها.

«لا، ولكني اشعر بحنين الى قصر والدي».

«آه، وانا ايضاً، خاصة وان ريتشارد سيكون له مشاغل كثيرة وقلما سنجتمع معاً، ولن استطيع مرافقته في رحلته الجديدة، فصحتي لا تسمح بذلك، ولكني سانضم اليه في ورويك، اترغبين في مرافقتي؟».

«شكراً لك يا صاحبة الجلالة».

«انك مختلفة عن الاخريات، جنيفر، وانت الوحيدة التي لم تطلب مني شيئاً، حتى زوجة الان الاولى كانت دائماً تطلب مني ان احضر لها زجاجات العطر، وكان اللورد بيكنغهام يحملها لها، ويهديها ايضاً الفاكهة التي يستوردها مباشرة من اجلها».

«اللورد بيكنغهام؟».

«نعم، اوه لقد امضى اسابيع طويلة في الشمال، قبل ان يعود الى زوجته، اعترف بانني كنت اتضايق من رؤيته تائهاً في سن العشرين».

«اتقصدين ان اللايدي ايزابيل واللورد بيكنغهام...».

«لم يكن بينهما سوى بعض التنهدات، على كل حال ايزابيل ذاهبة بعد فترة قصيرة».

«هل اتباع اللورد هاستنغ يخطر الان بعد اعدام سيدهم؟، ان احد اصدقائي، نقل رسائل للورد هاستنغ ويخشى على نفسه كثيراً».

«لا داعي للقلق، بامكانك ان تطمئنيه بان الملك لا يحمل لهم اية ضغينة».

www.liilas.com

الفصل الثاني عشر

ثم اخرجت الملكة خاتماً من اصبعها وقدمته لجيفر عربوناً لصداقتهما.

«اذا شعرت بان اي خطر يهددك، صاحبة الجلالة، سأرسل لك هذا الخاتم فوراً».

«اتخشين شيئاً؟».

«لا، صاحبة الجلالة».

وبهذا الوقت دخل اللورد بيكنغهام وقال للملكة ان الملك يريدها بجانبه.

نهضت الملكة وفضلت ان تعود وحدها.

«هل استطيع مرافقتك سيدة جيفر؟».

«شكراً، ماي لورد».

فامسك يدها فتمنت جيفر ان يراها الآن برفقة هذا

الرجل الوي كي تجد مناسبة للاعتراف له بحقيقة بول هافر عندما زارها في غرفتها.

«هل تشعرين بالوحدة؟».

«قليلاً».

«يجب ان تجدي الابتسامة دائماً على فمك، ان عيونك جميلة جداً، ووجهك منير على عكس وجه الملكة الشاحب».

«انا اعتبر اللايدي آن اجمل النساء».

«للاسف انتهت الحفلة، والا كنت اتمنى ان ادعوك للرقص».

ثم تغيرت لهجته وودعها وابتعد قبل ان يسمع جوابها، فنظرت حولها تبحث عن زوجها فلم تجده، وشعرت بالغيرة، ايكون قد انسحب مع مارغريت، ولكن مارغريت اقتربت منها بنفس الوقت، واخبرتها بان السيد الآن وبعض النبلاء توجهوا الى اكسفورد للاعداد لسفر الملك.

«هذه الليلة؟ مستحيل! الم يقل شيئاً آخر؟».

«يطلب منك البقاء في لندن، واذا اردت، بامكانك العودة الى يوركشير».

شعرت جيفر بالخيبة وقررت انه عندما سيعود زوجها، ستخبره بموضوع بول هافر، خاصة بعد ان طمأنتها الملكة على امان اتباع هاستنغ.

توجه الملك في جولة على الضواحي بينما اتجهت الملكة وحاشيتها الى وندسور، واصبح قصر ويست مينستر هادئاً، فكانت جيفر تتناول وجبات الطعام في الصالة

www.liilas.com

الكبيرة مع القليلات اللواتي بقين هنا، وتتوجه احيانا الى المدينة مع رالف، وكانت اكثر ما تكره هو الليل الطويل، وكان السير الآن قد ترك لها الخيار بين البقاء هنا والعودة الى كلانسي، ولم يرسل لها اية رسالة، ولكنها كانت تعيش على امل عودته كي تشرح له كل شيء، وتعود السعادة بينهما وارادت يوماً، ما، ان تزور البرج وتتذكر ذلك اليوم الجميل الذي قضته برفقة زوجها.

فنزلت الى المركب الذي كان يسير بين البساتين بهدوء، وعندما وصلت الى القرب من اقفاص الحيوانات، سمعت ضحكة طفل صغير، فالتفتت فرأت ابن الملك ادوارد يلعب بالقوس وامامه شاب ينظر اليه لا بد انه شقيقه الدوق ديورك، وكانت تعلم انهما تحت الحماية مع والدتهم.

وفجأة اقترب منها حارسان وسألاها.

«اتبحثين عن شيء سيدتي؟».

«كنت اتأمل هذين الولدين، اهما...؟».

«انهما ابناء الملك الغير شرعيين، وهما يتمتعان هنا بحماية كبيرة، وسيمنحهما الملك عند عودته اراضي كبيرة واحد القصور».

«هذا يعني انكم انتم الجنود تحرسونهم؟».

«ولكننا سنذهب بعد يومين وسيتولى هذا العمل الخدم».

«لا نعرف، ولكن اللورد بيكنغهام رجل كريم ومتسامح».

«اهو بيكنغهام الذي طوعكم؟».

«نعم، بأمر من الملك، ولكن ماذا تفعلين هنا؟».

«جئت لمشاهدة الأسود».

تابعت جيفر طريقها وهي تشعر بقلق كبير ولكن لماذا اعاد اللورد بيكنغهام الحراسة على الاولاد؟

كان صاحب المركب الذي اعادها كثير الثرثرة.

«هل كان صديقك لطيفاً معك سيدتي؟» سألها بابتسامة ساخرة.

«انا متزوجة» اجابته بقسوة.

«هذا ليس غريباً فاكثر النساء المتزوجات يستأجرن مركبي للقاء عشاقهم، على كل حال انا اسف، هل رأيت الأمراء؟».

«الأمراء؟».

«نعم، انهم امراء، واذا كانوا غير شرعيين، انا اتمنى لهما ان يتمكنا من العيش بسلام».

«اتعتقد بانهم في خطر؟».

«يقال بان الملك يريد ان يتخلص منهما، لقد اخبرني احد رجال بيكنغهام بذلك، ولكني لا اعتقد ان ريتشارد دي كلوستر مجرماً لهذه الدرجة».

«ولا انا ايضاً» اجابته جيفر بهدوء.

«ولكنك تعلمين بالتأكيد ان الملك لديه ولد، ولكنه كما يقال ولد مريض وهزيل...».

وعندما وصلت الى الرصيف، رمت للمراكبي قطعة نقود ووعدته بانها ستعود لاستئجار مركبه مرة ثانية.

في اليوم التالي وصلتها رسالة من والدها، واخبرها

www.liilas.com

رالف بانها وصلت منذ اسبوع الى قصر كروسبي، ففتحتها بقلق كبير.

«ابنتي العزيزة، اكتب لك لاني اريد الاطمئنان عليك، نحن هنا جميعنا بخير، ولقد قلقت كثيراً عندما اخبرني بول هافر عن تدخله في نقل رسائل اللورد هاستنغ، واخبرني بانه استدان منك بعض المال كي يتمكن من الهرب، انه شاب احمق، ولكنه مثالي لاختك الحمقاء التي ترفض كل الرجال من اجله.

اتمنى ان يكون البلاط قد علمك كيف تحافظين على لسانك، انك اليوم زوجة محترمة، اكتبي لي عما يجري بعد حفل التتويج، وانا متأكد ان زوجك يعاملك بطريقة جيدة، وهو صديق لبيكنغهام واتنبأ له بمستقبل باهر، يقال هنا بان الذوق هو الذي سمح بتولي ريتشارد الملك عندما كشف عن زواج الملك السري.

والسيد بول هافر يشكرك كثيراً ولم يعد عليه اي خطر، ولقد تحسنت قدمي قليلاً، ارجو ان لا تتأخري بالكتابة الي. السير توماس ريفد».

وهكذا سيتحقق حلم سيسل ويسول، فنهضت جنيفر واتجهت نحو الكنيسة الدير كي تشعل شمعة وتتمنى السعادة لسيسل وبول، وكي تصلي كي يعود زوجها بسلامة ويعود الحب والسعادة ليرفرف عليهما

كانت الكنيسة مظلمة وهادئة، وكانت هناك بعض السيدات يصلين، فتقدمت جنيفر ورسمت اشارة الصليب على صدرها، واشعلت شمعتين واخذت تدعو ربها

بحرارة.

«يا رب، ارجع لي زوجي السير الان بسلامة، واجعله يستمع لي ويصدقني».

وكانت تركع على ركبتيها امام تمثال العذراء وظلت هكذا وقت طويلاً، وفجأة سمعت اصواتاً ليست بعيدة عنها في الناحية الاخرى.

«لا يوجد اي خطر اذا تحركنا بسرعة، ريتشارد مشغول ولا يرى ابعد من انفه، وسأبذل جهدي كي لا يصل شيء الى مسامعه».

انه صوت اللورد بيكنغهام، فاصغت جيداً.

«ولكن يجب عليك ان تغادر لندن» اجابه صوت امرأة لم تستطع جنيفر معرفة صاحبته.

«من الضروري اولاً ان انضم الى الملك، وبعد ذلك ساخبره بان امراً ضرورياً يضطرني للعودة الى قصري في بركون، وبامكانك ان تطمئني الكونت ريموند بان مصالحه تهمني كثيراً، فالمقاطعة الجنوبية اصبحت جاهزة للثورة».

اذن هذه اللايدي مرغاريت متانلي والدة جون غانت.

«ماذا سأقول للسيدة اليزابيث؟».

«الافضل ان تبق هي وبناتها تحت حماية الكنيسة اذا كانوا لا يزالون احياء».

«يا للامراء المساكين».

«ان ريتشارد يكره الورد فيل ويخاف منهم على عرشه».

ثم ابتعدا وظلت جنيفر تفكر بان بيكنغهام كان على اتصال بهنري تيدور بواسطة اللايدي متانلي، ومن الواضح

www.liilas.com

ان الملك ريتشارد كلوستر واطفال الملك في حصر، ثم عادت الى البرج. لقد كانت الملكة محقة عندما قالت لها بان بيكنغهام قد يخون القصر كما فعل كلارانس، عندما وصل المركب الى البرج، امرت المراكبي في ان ينتظرها، وكان هناك الكثير من الناس ومن الحرس، وبينما هي تسير، التقت باحد الحارسين الذين رأتهما امس.

الفصل الثالث عشر

www.liilas.com

«صباح الخير، يبدو انك تحبين هذا المكان سيدتي!».

«انا فضولية مثل كل الذين هنا، اصحيح ان اللورد فيل لن يعودوا الى هنا؟».

«انت تطرحين الكثير من الاسئلة سيدتي».

«ما الضرر في ذلك، فانت حارس وتعرف اذا كان الامراء الصغار لا يزالون هنا».

«لست ادري، ولكنهم تحت الحماية، تعالي معي سيدتي».

ثم اصطحبها الى ممر طويل وامام حائط ابيض.

«ماذا تريدين؟».

«لا شيء».

«وأنا ايضاً، انا اقوم فقط بالحراسة، وعندما اذهب

للراحة لا اعلم ماذا يحصل بغيابي، الافضل لك ان تجدي مكاناً آخر اكثر اماناً من هنا، كي لا تلتقي باحد الحرس الذين لا يعجبهم فضولك».

ثم عادت الى المركب الذي كان ينتظرها وتمنت لو انها تلتقي بزوجها وتجد الامان بين ذراعيه.

في المساء كانت تجلس في غرفتها وتتساءل ماذا تستطيع ان تفعل، اذا ارسلت رسالة للملك فقد لا يقرأها، واذا ذهبت بنفسها فالطريق ستكون خطرة وهي لا تعرف في اية مدينة هو موجود.

وفجأة دخل رالف واخبرها بان السيدة ستانلي تدعوها لتناول العشاء هذا المساء في جناحها الخاص.

«اللايدي ستانلي؟».

«نعم، سيدتي».

«في جناحها الخاص؟ هذا امر غريب، ولكن هل تعرف يا رالف وجهة سير الملك وحاشيته؟».

«اعتقد انهم متجهون نحو الشمال ولست اعرف الى اين بالتحديد».

«هل سمعت بعض الاشاعات؟».

«نعم سيدتي».

«رالف اريدك ان تحمل شيئاً مني لجلالته الملكة».

«يا الهي، ولكن ماذا سأقول لها؟».

«فقط ستعطيها هذا الخاتم» وخلعت الخاتم الذي اعطته لها الملكة وناولته لرالف.

«خبأه جيداً، واعطه للملكة فقط شخصياً».

«واذا رآني الملك او السير الان بالقرب منها؟».

«قل لزوجي باني اهديه السلام وباني سابقى زوجته المخلصة والمطيعة».

«وانت سيدتي؟».

«سأبقى هنا، وسأتناول العشاء مع اللايدي ستانلي، هيا اسرع وخذ حذرك».

«وانت ايضاً سيدتي، لقد اوصاني سيدي بالسهر عليك».

خبأ رالف الخاتم في جيبه جيداً، وانحنى قليلا ثم خرج وتساءلت جيفر لماذا تدعوها اللايدي ستانلي للعشاء؟ وهي لم تكن تعتقد انها تعلم بوجودها في وينت مينيستر، فاسرعت وارتدت ذلك الثوب الذي لبسته في حفل التتويج، ووجدت ان شعرها ليس مرتباً وبانها بحاجة الى احدى الخادمات لمساعدتها في تسريحه.

فخرجت من غرفتها ودخلت في الممر، ولاحظت ان رجلين يقومان بالحراسة، ولاحظت انهما من كتيبة البدوق بيكنغهام، لماذا وضع رجالاً امام الباب؟ فشعرت بالقلق وعادت الى غرفتها، وحملت معطفها وسرحت شعرها بسرعة، وغادرت غرفتها وقلبها يدق امام هذين الرجلين، وبعد قليل سمعت خطواتهما وراءها.

فاسرعت اكثر وركضت نحو الاسطبل حيث يوجد حصانها، فركبته بسرعة وخرجت من القصر قد تتمكن من اللحاق برالف، ولكنها بذلك تؤخره عن ايصال الرسالة، وقد يكون اللورد بيكنغهام قد ارسل احد الحرس خلفه،

www.liilas.com

فالافضل لها ان تتجه نحو الشمال الشرقي باتجاه قصر والدها حيث ستنتظر زوجها او تعود الى كلانسي.

بدأ المطر ينزل، ولكن الشوارع كانت لا تزال مزدحمة، فتوقفت جنيفر في احد الفنادق حيث ذهبت مرة مع زوجها لتناول العشاء فيه، وكانت تعلم ان صاحب الفندق صديق لزوجها.

«اهلاً، ليدي كلانسي، لا يجب عليك ان تتجولي في مثل هذا الوقت».

«يجب ان اغادر لندن».

«هذه الليلة، ماي لايدي».

«انت صديق زوجي اليس كذلك؟ هل يمكنك ان تساعدني في مغادرة المدينة».

«الى اين تريدين الذهاب؟».

«الى سروبشير، وذلك لامر في غاية الاهمية».

«الى سروبشير؟ ولكن يلزمك عشرة ايام من السير».

«يجب ان ابتعد دون ان يعلم احد بذلك».

«لدي اربعة رجال اثق بهم تماماً، واحدهم من ورسيستر وهو يعرف المطريق جيداً، ولكن هناك شائعات عن ثورة، ويقول البعض بان الكونت ريموند يحاول ان يحتل البلد، ويقول آخرون ان اللورد بيكنغهام يحاول ان ينصب نفسه ملكاً، ساجعل جايمس وروب يرافقانك، جايمس هو الذي يعرف الطريق جيداً وكلاهما مخلصان».

بعد ساعة كانت جنيفر برفقة هذين الشابين تغادر لندن نحو الغرب، باتجاه الغابة التي تحيط بوندسور، وكان

المطر لا يزال يتساقط وكانت جنيفر تتلفت خلفها وهي تشعر بانها ملاحقة، وبعد قليل تأكدت بان قلقها لا مبرر له.

ولم تكن جنيفر متأكدة من ان دعوة اللايدي ستانلي لها للعشاء هي فخ حقاً، والا لكان حرس بيكنغهام عرفا باتجاه سيرها، ولكن صاحب الفندق رجل مخلص ولا احد آخر يعرف بانها تعرفه.

ونصحها مرافقها روب بانه من الافضل ان يبيتوا ليلتهم في احد اكواخ الصيادين، وهكذا بعد ان وجدوا احد هذه الاكواخ نامت جنيفر بينما تناوب الشابان على الحراسة خوفاً من اللصوص.

وكانت قد دعت ربها لكي يتمكنوا من متابعة سفرهم غداً دون ان يلتقوا باي كائن حي.

وفي اليوم التالي اتجهوا نحو اوكسفورد مروراً بمقاطعة كلومستر برغم وعورة الطرقات، ولو كانت الظروف مختلفة لوجدت جنيفر سعادة في التنزه في هذه المنطقة الريفية التي لم تزرها من قبل، ولكن همها الوحيد الآن ان تصل باقصى سرعة الى قصر الريف عند والدها.

وادركت في المطريق ان الشائعات تسري في كل المناطق، والكل يتحدث عن اللورد بيكنغهام وعن مؤامراته حول الاسراء الصغار، وادركت ان اللورد نورفولك يتجه نحو الكنت كي يوقف التمرد والعصيان واللورد بيكنغهام يتجه الى بريكون كي حمل السلاح ولا احد يعلم الى اي جانب سيحارب.

www.liilas.com

وسمعت بان الملك ريتشارد موجود في بيروك كي يعلن ابنه اميراً للغال.

ويقال بان رجالاً يتجهون الى لستر تحت لوائه، وبان اللورد ستانلي نصحه بالتصرف بسرعة كي يقف بوجه بيكنغهام، هذا يثبت ان ستانلي له يد في كل الميادين دون ان يتمكن من السيطرة على زوجته التي تحاول ان تبدو كتقية ورعة.

الفصل الرابع عشر

وكان المطر لا يزال يتساقط والسماء مليدة بالغيوم، والتفوا في طريقهم بكتيبة من الحرس، وبدافع الفضول خاطرت جيفر وتوقفت لتسأل رئيسهم.

«الى من تنتمون وفي اي اتجاه ذاهبون؟».

«نحن في خدمة السير وليام ستونر من مقاطعة اوكسفورد، ماي لايدي، ونحن ذاهبون للانضمام لقوات اللورد بيكنغهام، ولكن في الطريق اخبرونا ان واغان قرر الانضمام الى الملك ريتشارد وهكذا قررنا التوجه الى لندن».

«الافضل لكن ان تعودوا الى بيوتكم، لقد علمت بان المؤامرة قد احبطت».

«اذن سيكون الدوق في بريكون مع بعض الفرسان»

www.liilas.com

اجاب احد الحراس.

فاشار له رئيسه ان يسكت، ثم سأل جنيفر.

«اتعلمين لمن سيكون العرش، ماي لايدي؟ يقال باننا نحارب من اجل رجل من ثيدور، والسير وليام يعلن بان بيكنغهام يجب ان يكون ملكاً، ولكني اعتقد بان ريتشارد هو الملك».

«نعم، انه هو الملك، وهو صاحب الحق بذلك» اجابته جنيفر.

«اذا سنعود من حيث اتينا» قال الرئيس لجنوده.

تطوت اليهم جنيفر وهم يبتعدون، وهي تفكر بزوجها الان، وشعرت بانها لم تفكر به عندما ارسلت الخاتم للملكة، فهو صديق لبيكنغهام فقد يكون متواطئاً معه. وشعرت فجأة بانها ستختنق.

ويوماً بعد يوم، كانت المسيرة تتقدم، ولم تستطع جنيفر ان تبدل ثيابها او تريح عضلات جسدها التي اصبحت تؤلمها، وكان رفيقاها قويان لكنهما يميلون الى الصمت ويعاملانها باحترام كبير كونها سيدة من طبقة راقية وزوجها رجل مهم.

كانت جنيفر تفكر بزوجها وتتساءل اذا كان متورطاً في مؤامرات بيكنغهام، فاذا فشل بيكنغهام سيكون مصير زوجها الاعدام، وشعرت بالذنب لانه اذا اعدم تكون هي التي دفعت برأسه من على المقصلة.

عندما اقتربوا من قصر الريف، بدا برجه العالي من بعيد، وكان المطر قد خف قليلاً، فاحست بان قلبها سيطير

من الفرح لرؤية هذا المنزل الذي قضت فيه طفولتها.

ومع ذلك كانت تحس بالغربة، وكأنها ليست في منطقتها، وتفاجأت بانها تشعر بالحنين الى قصر زوجها في كلانسي.

«جنيفر، يا الهي، جنيفر!».

اسرعت مولي المربية لتلقاها، وتبعتها سيسل بينما بقي السير توماس والدها يقف امام الباب يمد ساقه.

قفزت جنيفر من على صهوة جوادها، وقد عادت اليها ذكريات الطفولة، ونسيت فجأة متاعبها.

لقد عادت من جديد الى قصر الريف لتكون بقرب والدها وشقيقتها سيسل، لكنها لم تعد تلك نفسها التي غادرته، انها الآن امرأة.

«اعتقدت انك ستبقين معنا الى ان يرسل السير الان احدا لحاقك».

قال لها والدها بقلق عندما روت لها جنيفر كل ما حصل في لندن والسبب الذي دعاها للهرب، لقد كان يعتقد بان زوجها يعلم بانها ذاهبة الى سروبشير، ومع ذلك لم تحاول جنيفر ان تجيب اماله.

«انه رجل متعقل ورزين» اضاف والدها «بامكانك ايضاً يا سيسل ان تكوني سعيدة اذا كان بول هاغر يملك نصف مميزات السير الان، لندن الآن مكان ليس مناسباً لوجود سيدة في هذه الظروف المتوترة».

وعلمت جنيفر بانه ارسل بول لشراء بعض المواشي، وسيكون زواجه من سيسل في عيد الميلاد.

www.liilas.com

«انه زواج حب!» قال السير توماس باستهزاء «انا لم اناقشه عندما قرر الذهاب الى لندن، مع انه عرض نفسه للخطر في نقل الرسائل للملك الورد فيل، اللعين، ومع ذلك لا يزال لدي بعض الامل».

ولكن سيسل كانت معجبة جداً بزوج المستقبل.

«ان دخوله الدير برغم الحراسة المشددة دليل على الشجاعة، ولقد تمكن من الهرب وتخلص من الذين اعدموا اللورد هاستنغ! لقد تجمد دمي عندما اخبرني عن كل المخاطر التي واجهها، وكل ذلك لكي يتمكن من اقناع والدي بالموافقة على الزواج مني».

قبلت جنيفر اختها بحنان، ثم ارتدت معطفها واتجهت نحو الكنيسة.

لم يعد فصل الصيف الماضي سوى ذكرى بالنسبة لجنيفر، والهواء والمطر ينذر بشتاء قاس، وقد تطول الحروب، وقد لا تصلها اية رسالة من السير الان زوجها.

كانت الكنيسة الصغيرة باردة ومظلمة، فأشعلت جنيفر شمعة كما فعلت ذلك اليوم عندما توجهت الى كنيسة الدير ودعت ربها لكي يعود زوجها سليماً ومعافى.

«يا ربنا، ارجوك ان تعيده لي سليماً ومعافى».

«اتمنى ان يكون دعاؤك هذا من اجلي انا».

جاء هذا الصوت من الظلام. فتجمدت يداها على الرخام وشعرت بان انفاسها تقطعت، فالتفتت نحو الجهة التي صدر منها الصوت.

«هل اخفتك؟».

«لا، لورد بيكنغهام» اجابته بوضوح رغم دهشتها الكبيرة.

«لا، ماي لورد، لست خائفة».

«انت محقة، فأنا لست سوى هارب منشرد، وليس لدي اي قدرة على الحاق الاذى بك».

«هل سقطت المؤامرة؟».

«انها لم تبدأ اصلاً، لم يثر احد على الملك ريتشارد، هنري تيدور نفسه، فضل الانتظار، والمطر ايضاً اثر في كل ذلك، لان لانهار معرضة للطوفان، والجسور اصبحت تشكل خطراً، ولم يستطع رجالي ان يحصلوا على رواتبهم، فقرروا التخلي عن مهامهم».

«ولكن لماذا اشتركت في هذه المغامرة؟». سألته بدهشة واستغراب.

«كي ابعد عن العرش هذا المغتصب للملك» اجابها وهو يهز رأسه.

«ولكنك انت الذي...».

«الذي سمحت لريتشارد دي كلوسستر بان يصبح الملك ريتشارد الثالث انا اعلم ذلك، وكنت اعتقد بصدق ادعاءاته ووعوده، وكنت اتخيله سيكون ملكاً عادلاً وطيباً، ولم اكن اعلم لاية درجة يكره الورد فيل، وبأنه لا يزال يحقد عليهم، الحرمان من الارث شيء فظيع، لكن اغتيال الاطفال جريمة تغضب الله».

«الامراء الصغار».

«نعم، قتلوا، وبامر من الملك ريتشارد نفسه، اوه،

www.liilas.com

كنت قد سمعت شائعات عن نواياه، ولكني لم اكن اصدق ذلك، ويقال ايضاً بان الورد فيل كانوا يريدون ان يعملوا على تربيتهم، وبعد ذلك استبدل الحرس بخدم...».

«يامر منك انت!».

«انا اوقع اوراقاً كل يوم، ولا اقرأها كلها، كنت مستعجلاً للانضمام الى الملك كي اعرف منه الحقيقة، ولم اكتشفها للاسف، ولقد اختفى الاطفال، وانا متأكد ان ريتشارد قتلهم، الانتقام شيء فظيع عندما ينال من ابرياء صغار».

الفصل الخامس عشر

كان يبدو وكأنه يتكلم بصدق، وكان وجهه قاسياً فتأملته وترددت وهي تتساءل اذا لم يكن هو نفسه الملك، ورغم ضعفه وحرجه ليس شيطاناً فظيعاً.

«قد يكون الورد فيل قد نجحوا حقاً في تخليصهم» قالت جنيفر بصوت مرتجف.

«السيدة الزبابيث اكدت للايدي ستانلي بانها لم تسمع اية اخبار عنهم».

«هل انت متأكد من موتهم؟».

«يامر من الملك ريتشارد» اجاب بمرارة.

«ولكني لا استطيع ان اثبت شيئاً، لانني وحدي الآن ويطاردونني كأنني حيوان مفترس».

«ولكن لماذا جئت الى هنا؟».

«كان والدك من اتباع اللنكاستر».

«لقد مضت سنوات طويلة على ذلك، وهو الآن يكره السياسة».

«ولكنه استقبلني بحفاوة عندما زرته في نهاية الشتاء الماضي».

«استقبلك كما يستقبل اي رجل نبيل، ولكني متأكدة من انه لن يساعد اي خائن».

«خائن ضد مغتصب الملك».

«ولكن هل زوجي متآمر معك في هذه المغامرة؟» سألته جنيفر بقلق.

فهز الورد بيكنغهام رأسه بالنفي واجاب.

«السير الآن دي كلانسي هو مع ريتشارد الملك منذ البداية».

عند سماعها جوابه، شعرت جنيفر بالراحة والاطمئنان، وادركت ان ولاء زوجها للملك كان اقوى من صداقته لبيكنغهام، وشعرت بالخجل من نفسها لانها استطاعت ان تشك لحظة بولائه وباخلاصه للملك.

«ولكن لماذا جئت الى هنا؟».

«جئت لكي اطلب مساعدتك، لانني اعتقد برحمتك ورأفتك كما اعتقد برزانة عقلك».

«رزانة عقلي؟».

«كنت اعلم وانا في البلاط انك والسير الآن لا تتشاركان غرفة نوم واحدة، لا بد انه مشكلة خاصة بينكما، ومن غير اللائق البحث عن تجنب ذلك، ولكنني اجرؤ على

www.liilas.com

أمل . . . »

ثم ابتسم، وكان برغم ملابسه الموحلة، والتعب الظاهر على وجهه، لا يزال يبدو وسيماً جداً، لكن سحره لن يؤثر ابداً على جنيفر التي تحب زوجها كثيراً.

«لا، لا يمكنني ابداً ان اتصرف بعكس مبادىء زوجي».

«اذا قبض علي سأعدم، والنساء مخلوقات رقيقة ورحومة».

«ولكنك لا تجيبني بوضوح، ماذا جئت تفعل هنا؟».

«صدقيني انا لا اقول سوى الحقيقة! يجب ان تصدقيني» صرخ وامسك يديها بين يديه، «اذا كان الامراء قد ماتوا، فهذا بناء على اوامر الملك ريتشارد».

فكرت جنيفر انها لا يمكن لها ان تثق به، مع ان لديها احساس بانه صادق، وقد يكون الملك ريتشارد بسبب كره الشديد للورد فيل، اعطى الاوامر لقتل الصغار، وقد يكون يكنغهام نفسه هو الذي اصدر هذا الامر، وهو ينكره الآن على امل ان ينقذه الورد فيل.

«انا لا اطلب منك سوى ملجأ امضي فيه ليلة او ليلتين، ولست بحاجة لكي تخبرني والدك، لقد تركت جوادي مربوطاً في الغابة وقد لا يلاحظه احد، هيا ارجوك من اجل الصداقة التي اكنها لزوجك، لا ترفضي تقديم هذه الخدمة لي».

«الصداقة! ان الصديق لا يخون صديقه مع زوجته اثناء غيابه».

«لقد وجدت رسائل خاصة في جارور مكتبي».

«لكن ذلك لم يكن سوى جنون عابر، كنت شاباً طائشاً، واللايدي ايزابيل كانت جميلة جداً، وكانت تطربه معي، لقد اعدت اليها الرسائل وانفصلنا كاصدقاء فقط، وتأسفت كثيراً عندما سمعت خبر موتها، ولكن لم تكن تلك سوى مغامرة صغيرة لا تعني لي شيئاً».

«وكذلك الشرف لا يعني لك شيئاً، عندما كان الملك المتوفي لا يزال مريضاً، قمت بجولة على المقاطعات كي تؤمن لنفسك المساندة في المستقبل، وانت الذي اقنع الوصي كي يوقف لورد ريفر، وانت الذي كشفت عن زواج النورتاليوت، وانت الذي اكتشفت مؤامرة اللورد هاستنغ، وانت الذي نشرت كل هذه الاشاعات عن موت الامراء الصغار. والآن تريد ان تورطني في خدعك، وان اخدع زوجي كما فعلت اللايدي ايزابيل؟ لقد حرضت اللورد فيل ضد كلوستر، وكلوستر ضد تيدور، تتامر مع واحد، وتداهن آخر وكل ذلك بهدف الوصول الى عرش انكلترا، وكان الناس يضطهدون وانت تزرع الموت خلفك وانا ارفض ان استمع لك وارفض مساعدتك».

وبهذا الوقت بالذات دخل الآن الى الكنيسة وثيابه مليئة بالوحول، وشعره منكوش.

«الآن؟».

نظر الدوق يكنغهام لصديقه القديم بخوف ممزوج بالامل وقال.

«هل جئت لمساعدتي ام للقبض عليّ، سير الان؟».

«لا انوي لا مساعدتك ولا القبض عليك، ان رجال الملك سيصلون قريباً، وجئت احذرك بدافع الصداقة التي كانت بيننا، ولا انوي اي شيء آخر، لاني اعرف باي خداع تصرفت مع زوجتي».

«اكنت تعلم بموضوع ايزابيل؟» سألته جنيفر بدهشة.

«لقد نجح وكيلي في الوصول الى موكب الملك وهو يحمل خاتماً للملكة من جنيفر والذي يحذرها من خيانتك، ولكن ريتشارد كان قد بدأ يشك بك، وطلبت الملكة مقابلتي، واخبرتني بعلاقتك بزوجتي الاولى ايزابيل... لقد خدعتني طويلاً، ويجب ان اقتلك، لكني لن افعل، والآن اذهب قبل ان يستيقظ غضبي، وقد يكون لا يزال لديك اصدقاء في منطقة اخرى».

انحنى الدوق بيكنغهام واتجه نحو الباب، ثم التفت مرة اخيرة وقال.

«هناك شيء يجب ان تصدقه، انا لم افعل اي شيء يضر بالصغار، وكل الباقي انا مذنب فيه حقاً، ولكني لست مشترك بقتلهم».

وعندما خرج بيكنغهام، سألت جنيفر زوجها.

«هل سيسامحه الملك؟».

«لن يراه ريتشارد مرة ثانية، ولقد اصدر امراً بقتله».

«والامراء الصغار؟».

«لا احد يعلم عنهم شيئاً، ولكن ريتشارد يعتقد بان بيكنغهام اغتالهم لكي يرضي هنري تيدور، ولكن لم يعلن شيء حتى الآن».

«هل تصدق ما يقوله ريتشارد؟»

«انا لست بمستوى ان اشكك بكلامه».

«اتعتقد بانني لم اخدعك ابداً؟» سألته بصوت منخفض وهي تنظر الى عينيه.

«اعرف ذلك، لقد جاء السيد بول هافنر وبحث عني وروى لي كل شيء، كان يخاف ان يكون وجوده في غرفتك ذلك اليوم قد اثار سوء تفاهم بيننا، خاصة بعد ان علم بانه لا خطورة عليه، واخبرني كيف ساعدتيه من اجل اختك سيسل».

«كان يجب ان اخبرك ذلك قبل الآن...».

«لا كان يجب ان اصدقك منذ البداية ولم يكن يجب علي ان ارفض الاستماع عليك، وبعد ان وجدت السعادة معك، اعميتني خيبة الامل، لقد حكمت عليك بمظاهر بسيطة ولم ادع لك فرصة الدفاع عن نفسك».

«لكن الحب قادر على السماح والعفو».

«الحب؟ الا تزالين تحبينني كي تنسي اهاناتي لك؟».

«احبك اكثر مما مضى، كنت اريد ان اخبرك الحقيقة عن بول، لكني وعدته بالمساعدة ولم يكن بامكاني خيانته».

«واتمنى ايضاً اشياء كثيرة منك، بالاضافة الحب والشرف والاخلاص».

كان ينطق هذه الكلمات بحنان كبيرة، وعيونه تعبر عن حب قوي ورغبة اقوى قضمها الى صدره.

«ولايدي جنيفر، اتقبلين ان تبقي زوجتي؟ وان تجعليني

www.liilas.com

ذلـك الوعـد الذي نـطقت به امـام رالف في هذه الكنيسـة وامام قبر هذه السيدة التي شهدت لقائنا الاول؟».

«نعم، وبكل فرح!».

والتقت شفاههما بحب وحنان، وتبددت كل المخاوف، وزال سوء التفاهم، ولن يفرق بينهما شيء بعد الآن.

www.liilas.com
farfoura
liilas